أوج
لبناء فكري متجدد

الإنسان يبحث عن المعانـاة

د. شيخة عبد الله المطوع

هل تحمي العلمانية الحريات الفردية ؟

علي جابر المشنوي

ذكاء الملحد

لمياء يوسف الغيث

علم الأعصاب المعرفي

رضا زيدان

المذاكرة النباتية والمذاكرة المعدنية

د. فضة العنزي

تربية الأبناء في عصر الهواتف الذكية

العنود مشعان العنزي

مقابلة العدد

جيل ليبوفتسكي

المبشير عصام المراكشي

شخصية العدد

مها صالح الصقيري

أفق
لبناء فكري متجدد
العدد ٥
1440هـ/2018م
مجلة تعنى بإثراء المحتوى الفكري الشبابي في مختلف مجالات الحياة العصرية بأسلوب حديث يراعي التنوع في درجة التناول بين ما يناسب القارئ العادي والمتخصص
DALAIL
تصدر عن مركز دلائل
dalailcentre@gmail.com
المشرف العام
أ. د. خالد بن منصور الدريس
رئيس التحرير
م. أحمد حسن
مدير التحرير
رضا زيدان
هيئة التحرير
نخبة مثقفة مختارة من الشباب والشابات

الافتتاحية ١

سقف الحريات - أسرة التحرير

تربية الأبناء في عصر الهواتف الذكية ٣

ترجمة : العنود مشعان العنزي

الإنسان يبحث عن المعاناة ٧

د. شيخة عبد الله المطوع

هل تحمي العلمانية الحريات الفردية ؟ ٩

علي جابر المشنوي

إبداعات الفنون ١٣

إعداد وتقديم : أمل شبلان

الفن الفيزيائي ١٥

عبد العزيز محمد محسون

الرسم ثلاثي الأبعاد ٢٣

عمر بن إبراهيم المغربي

صقر قريش ٢٩

أحمد عبد القادر

لعبة الرمز في الفن التشكيلي ٣٥

أمل شبلان

مقابلة العدد ٣٩

جيل ليبوفتسكي – البشير عصام المراكشي

كتب مختارة ٥١

فريق التحرير

ذكاء الملحد ٥٥

لمياء يوسف الغيث

شخصية العدد ٦١

مها صالح الصقيري

الذاكرة النباتية والذاكرة المعدنية ٦٥

د. فضة العنزي

دراسات ٦٩

علم الأعصاب المعرفي - رضا زيدان

المقالات والأعمال المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها

للتواصل وإرسال الملاحظات أو المقالات المقترحة : Aog@dalailcentre.com

افتتاحية
العدد

سقف الحرية !

في الأسبوع الماضي صدر قراران هامان يمسان عالمنا الإسلامي عالمياً .. الأول من المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان، حيث قضت بأن الإساءة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم لا تدخل تحت وصف (حرية الرأي) .. والثاني من الأمم حيث أدانت القرار الفرنسي بمنع لبس النقاب واعتبرته تعدٍ على حقوق الإنسان، ونريد أن نقف هنا وقفتين .. الأولى تتعلق بمَن يربطون أنفسهم بالهيئات والكيانات الحقوقية والتشريعية الخارجية .. حيث يدورون حيثما دارت .. لا يعرفون الصواب إلا إذا حكمت بصوابه .. ولا يعترفون بخطأ إلا إذا أدانته .. فنقول لهم : هم بشر مثلكم يصيبون ويخطئون.. بل وكثيراً ما تحكمهم معايير المصالح والسياسات وكسب الآراء والتوجهات: فمتى يكون حكمنا على الأشياء نابع منا ومن معرفتنا (نحن) بالصواب والخطأ ؟ وأما الوقفة الثانية فتتعلق بسقف الحريات والذي نتذكر معه آدابنا الإسلامية في عدم الإساءة لمعتقد أحد بالصورة الاستفزازية كالرسومات المُسيئة ونحو ذلك .. وإنما أعلى الإسلام من قيمة الدعوة والحوار والمناظرة والبرهان والجدال بالتي هي أحسن .. فأين ذلك من حوادث عديدة تم اتخاذ الإساءة فيها لنبينا عليه السلام وسيلة لإيذاء المسلمين ؟

تربية الأبناء في عصر الهواتف الذكية

ترجمة :
أ . العنود مشعان العنزي
ماجستير ترجمة .

يتعرض المقال لمحتوى كتابين صدرا هذا العام 2018م وهما : (فن وقت الشاشة : كيف تستطيع عائلتك عمل موازنة بين وسائل الإعلام الرقمية والحياة الواقعية).

The Art of Screen Time: How Your Family Can Balance Digital Media and Real Life

للكاتبة : آنيا كامينتيز

Anya Kamenetz

وكتاب : (كونوا آباءً، من فضلكم توقفوا عن منع الأرجوحة وابدأوا في منع السناب شات : استراتيجيات لحل المشاكل الحقيقية للآباء).

Be the Parent, Please: Stop Banning Seesaws and Start Banning Snapchat

للكاتبة : نعومي شيفر ريلي

Naomi Schaefer Riley

المصدر :
صحافة تيمبليتون.
مراجعة : مايكل بيتريللي.

أوضحت كل المؤشرات تقريباً أن الأطفال الأمريكيين الذين ينتمون للطبقات المتوسطة العليا يتمتعون بميزاتٍ تجعلهم الجيل الأكثر حظاً في تاريخ العالم.

فإن معظم أولئك الأطفال تربوا في عائلة مليئة بالحب، وبذلك شوهد انخفاض في سجلات العنف الأسري وإيذاء الأطفال، وكذلك قلة حالات الحمل لدى المراهقات. بالإضافة الى انخفاض كبير في معدل استخدام الكحول والمخدرات.

فنحن البشر نشعر فطرياً بالقلق. وأكثر ما يقلق الآباء في الطبقة المتوسطة هو الشاشات الصغيرة التي وصلت لأطفالنا. وكذلك نقلق حيال ما تفعله هذه الأجهزة الذكية من اضطرابات في التركيز لدى الأطفال. وكذلك لا ننسى العاب الفيديو العنيفة التي تؤدي بهم ليكونوا قاتلين. بالإضافة إلى المحتويات الإباحية التي تسيء إلى سمعتهم واحترام الذات، وكذلك المواقع غير الهادفة التي ستضر بدراستهم. وهذا ما يسبب لنا القلق مراراً وتكراراً.

فالعرض الأول بمثابة رسالة مهدئة : "لا تقلق كثيراً.. فطفلك سيكون بخير" بينما العرض الثاني : "يزيد من مخاطر هذه الأجهزة".

كأب لطفلين في سن الدراسة وأنا أعتبر نفسي أباً متساهلاً فيما يخص الشاشات الذكية، فلقد استمتعت أكثر من السابق، فما زلت لم أقدم أي مساعدة، نعم أنا أشعر بالقلق وما زلت أخدع نفسي.

فيما يخص كتاب (فن وقت الشاشة) فلديه كل ما يؤهله ليكون أفضل الكتب مبيعاً، والذي ألفته آنيا كامينتيز التي تعمل كمراسلة تقنية في الإذاعة

الوطنيــة العامــة، والتــي حصلــت علــى وثائــق اعتمــاد للمشــروع. فلكونهــا أمــاً لطفلتيــن هــو مــا يعزز مصداقيتها.
والكتاب كُتِب بشكل جيد وسهل التسلسل ومتوازن بشكل كبير، ويمر القارئ من خلاله بالعديد من البحوث حول استخدام هذه الشاشات من قبل الأطفال والتي طرحت بشكل جميل وتقني دقيق. لكن يُعد البحث للأسف محدوداً أكثر مما يأمله أي شخص. فأغلبه (ترابطي) أكثر من كونه (سببي).
فالجزء الأكبر منه مستمد من عصر التلفاز مع القليل جداً من الأجهزة الذكية واللوحية رغم أنها التي تحكم حياتنا هذا العصر. ومع ذلك، ومن وجهة نظر كامينتيز، تنشر معظم الدراسات عمَّا يسميه البعض في هذا المجال "نظرية الهندباء في مقابل زهرة الأوركيد".

وتعني هذه النظرية باختصار أن الأطفال أقوياء ومرنين مثل نبات الهندباء. ومن هذا المنطق نستنتج أنه من الممكن أن يقضوا أوقاتاً كثيرة أمام تلك الشاشات بدون أي تعب.
لكن في الواقع، إن مشاهدة التلفاز بشكل سلبي لساعات متواصلة يرتبط بالسمنة بالتأكيد، لأن البقاء ساعات طويلة يزيد من تناول الوجبات الخفيفة.
وكذلك من يرغب في النوم الجيد يجب عليه الابتعاد عن هذه الشاشات قبل وقت النوم. تقول كامينتيز : إن آباء نبتة الهندباء المتوترين لا ينبغي عليهم الشعور بالذنب لإعطائهم أولادهم هذه الشاشات الصغيرة. بينما هناك مجموعة قليلة من الأطفال رقيقين وقابلين للكسر مثل زهرة الأوركيد ويواجهون مخاطر حقيقية من الاستخدام المفرط لتلك الشاشات، بما فيها الألعاب التي تحتويها تلك الشاشات. وكذلك الإدمان الحقيقي للإنترنت المدمر لبعض الأطفال وأسرهم. وفي حين المحتوى العنيف بحد ذاته لا يؤدي عادة إلى العدوانية، فبعض الأطفال يصابون بالخوف والقلق، بالإضافة إلى قلة الإحساس تجاه معاناة الآخرين. وكذلك هناك تشبيه آخر ألا وهو " الطعام ".
قامت ميشيل بولان بتقديم نصيحة : " استمتع بمشاهدة تلك الشاشات لكن ليس كثيراً، ولابد من مشاركة الآخرين ذلك" فالتركيز على الترفيه والفرح هو إحساس بالانتعاش والإيجابية بالنسبة للقلق الذي سيطر على أغلب النقاش السابق.
نعود إلى ذلك التشبيه الذي قُدِم في السطور الماضية ألا وهو "الطعام والرجيم الصحي" فلدينا بعض الأفكار عن كيف يبدو الاستهلاك المفرط، وما هي المكونات السّامة، وكذلك أعراض الحساسية الخطرة من بعض الأطعمة. لكن كيف نربط بين بعض الأطعمة المضرّة ووسائل الإعلام؟ ما هو التكافؤ بين هاذين المثالين ؟ وماذا عن عشاء العائلة المعّد من الخضراوات الطبيعية ؟ وكذلك الشواء في الفناء الخارجي ؟

وكما ذكرت في هذه الصفحات عما تحويه تلك الشاشات من محتوى تعليمي عظيم متاح للأسرة اليوم. فإن الانخراط في مثل هذا النوع من الوجبات الغذائية اللذيذة مفيداً في تعليم الأطفال وكذلك حب التواصل الأسري، فشكراً لكامينتيز لقولها ذلك.
كما كان جيداً بالنسبة لي فصلها عن الآباء والشاشات. ففي الوقت الذي نقلق فيه بخصوص الأطفال الذين يحدقون بالهواتف الذكية أو العاب الفيديو. فماذا عن استخدام الشاشة الخاص بنا ؟ الكاتبة تذكرنا بأن نكون قدوات جيدة ولابد من الابتعاد عنها في أوقات العائلة.
كما أنها تلاحظ كلاً من إيجابيات وسلبيات تربية الأبناء في عصر الهواتف الذكية. ومن الممكن الحصول على مشورة ودعم من "مدونات الأمهات" وما شابة ذلك، ولكن هناك شعور آخر بأنه يمكن الحكم على التربية من جهة عائلتنا وأصدقائنا على الفيس بوك.
كتاب (فن وقت الشاشة) ليس مثالياً فهو يمثل للشخص تجربة كامينتيز الخاصة بها حتى الآن مع طفلتيها، فالأمر يختلف مع البالغين والمراهقين عن الأطفال الرضع والصغار. فهي حاولت تغطية معظم الموضوعات الكبيرة مع أجزاء مفيدة وبشكل خاص حول المحتويات الجنسية والاباحية. ولكنها تترك أحد أكبر الأسئلة التي يواجها الآباء وهو : متى تعطي طفلاً الهاتف الذكي ؟

قد ينزعج القراء المحافظون أيضاً من ليبرالية الكاتبة العارضة، خاصة في وصف صناعة التكنولوجيا التي تصورها في أسلوب شرير. وهو ما يتضاعف في نظرتها اللاذعة إلى استخدام الشاشات في المدارس، والذي تعترف أنه أسوأ مما كانت تتوقع.
لكن أكثر ما خيب ظني هو

تذبذبها في وصف الأبوة السيئة. والذي قد ينشأ من نزعتها اليسارية، لكن القليل من الحكم سيقطع شوطاً طويلاً. فعندما يسمح الآباء لأبنائهم بأكل الوجبات السريعة ويصبحون بدناء، على سبيل المثال، فهو يشبه تركهم يلعبون في الزحام، فلا ينبغي التردد في وصف ذلك بالأبوة السيئة. وعندما نسمح للأطفال بشكل منتظم لاستعمال الهواتف الذكية بدون وقت محدد وهو ما يوقعهم في حالة اضطراب أو أسوأ، فيجب علينا وصف ذلك بالأبوة السيئة أيضاً.

إن عجز الحكم وتواجد الليبرالية لن نجدهما في كتاب نعومي شيفر ريلي الجديد. وهي زميل معهد إنتربرايز الأمريكي ومنتدى النساء المستقلات، فلا تخشى ريلي من إنذار الآباء للحد من وقت الشاشة أو حتى إلغائه، وكما يقول عنوان كتابها : "كونوا آباءً، من فضلكم".

وهي تغطي الكثير من نفس الأبحاث وتقتصر على العديد من المحللين مثل كامينتيز، ولكنها تصل إلى استنتاج أكثر إزعاجاً حول الأضرار المحتملة لوقت الشاشة. هذا جزئياً لأنها لا تستبعد الدراسات الارتباطية بقدر ما تفعله كايمنتيز، ويرجع ذلك جزئياً أيضاً لتركيزها بشكل أكبر على زهرة الأوركيد : أي الأطفال القلائل نسبياً الذين يعانون بشدة بسبب الشاشات.

إنها تقترب من تبني نهج "التعفف" في وقت الشاشة، وتثني على الآباء الذين ينجحون في تربية الأطفال بالطريقة الأمريكية القديمة التي كانت في القرن الحادي والعشرين.

عندما يكبر الأطفال بما فيه الكفاية للتنقل بين مجتمعاتهم بدون إشراف، توصي ريلي بشراء هاتف نقال بغطاء لهم Flip Phone، أو حتى مجرد ساعة، بدلاً من الهاتف الذكي. وكما قالت لاحقاً : "قد تعتقد أنك بحاجة إلى أن يكون لطفلك هاتف لترتيب خدمات الركوب والتوصيل". "لكن لا تفعل ذلك. اتفقوا على التقابل في وقت محدد. أنت لست أوبر. إذا حدث خطأ ما، قم بتعليم طفلك كيف يطلب من شخص بالغ أن يتواصل معك".

على الرغم من أنني وجدت الأسلوب مبالِغاً نوعاً ما - تذكر أني أب لا يريد أن يجد ضرراً في الاستخدام المعتدل للشاشة - فإن هذا الكتاب بفلسفة الين yin (هي فلسلفة صينية عن الأنثى في الكون) مفيداً لفسلفة اليانج yang لكامينتيز (فسلفة صينية للذكورة في الكون).

ربما لأن أطفال ريلي قد أصبحوا أكبر سناً قليلاً، فهو أقوى أيضاً عندما يتعلق الأمر بالبالغين والمراهقين - وفي بعض الأحيان مرعب بشكل واضح. مثل حديثها في وجوب عدم النظر في الشاشات قبل النوم.

كان من المفيد بشكل خاص "نصائح لخفض الظهر" من جهة ريلي التي طرحتها في الكتاب. على سبيل المثال : "الرجيم هو الرجيم، سواء كان مخصصاً للطعام أو لوقت الشاشة. إذا لم تكن حازماً في الأسابيع القليلة الأولى حول القواعد، ستفشل. وسيشعر الأطفال بضعفك، وسيستمرون في الطلب حتى يهزمونك". أيضاً قولها : "الأطفال ليسوا بالغين. فإنهم لا يحبون الجلوس لفترة طويلة من الزمن. وإذا كانت الطريقة الوحيدة التي يمكنك من خلالها القيام بذلك هي مع جهاز ما، فاسأل عما إذا كان الأطفال بحاجة بالفعل إلى أن يكونوا هناك. سواء كان مطعماً فاخراً أو اجتماع شقيق بأخيه لمدة ثلاث ساعات بالسباحة، فربما هذا ليس المكان الذي ينتمون إليه".

على الرغم من اختلافهما في الأسلوب والاستنتاجات، تتفق كامينيتز وريلي على بعض النقاط. فكل منهما ينظر إلى التكنولوجيا في المدارس بتشكك كبير، وكل منهما يقلق من وقت الشاشة وفقدان الكثير من الأمور الصحية والحسنة، مثل القراءة واللعب في الهواء الطلق.

وكلتاهما أيضاً تتجنب القضية الكبرى التي تحتاج إلى مزيد من الاهتمام : كيفية تشجيع آباء الفقراء والطبقة العاملة ليكونوا أكثر مسؤولية عندما يتعلق الأمر باستخدام أطفالهم للشاشات. كما تقر المؤلفتان بأن أطفال الطبقة المتوسطة العليا حالهم أفضل، حيث يقوم العديد من أولياء أمورهم بالفعل بمراقبة وتقييد وقت الشاشة.

في حين تشير البيانات إلى أن العديد من أطفال الفقراء والطبقة العاملة يقضون ساعات طويلة جداً مع هواتفهم وألعاب الفيديو وأجهزة التلفزيون، مما يساهم في ضعف الأداء الدراسي، وارتفاع معدلات السمنة والعزلة الاجتماعية، مع النتائج السلبية الأخرى.

الأبناء بحاجة إلى قدوات أكثر منهم إلى نقاد !

من الصعب معرفة كيفية التعامل مع هذه المشكلة، ولكن قد نبدأ باتباع مقولة تشارلز موراي : " التعبير عما نمارسه". حيث يواجه الآباء الذين يقرؤون هذه الكتب بالفعل مشكلة التعامل مع الشاشات في حياة أطفالهم. لكن نحتاج إلى الآباء الذين لا يقرؤون هذه الكتب للتعامل مع هذه المشكلة أيضاً.

عن الكاتب : مايك بيتريللي هو رئيس معهد توماس ب. فوردهام والمحرر التنفيذي للتعليم التالي.

الإنسان يبحث عن المعاناة!

د.شيخة عبدالله المطوع
أستاذة الحديث المساعد
- الكويت

أبدع الدكتور فكتور فرانكل في كتابه الماتع : (الإنسان يبحث عن معنى) في تصوير المعاناة الإنسانية على أنها هبات ربانية تجعل لحياة الإنسان معنىً وغاية، وقد دعمه بقصة حياته في معسكرات النازية، وكيف أنه استطاع أن ينجو بحياته ويستعيد صحته النفسية في ظل قساوة الظروف لأنه كان يعتقد أن معاناته ستخلق منه شيئاً مميزاً، وهذا ما حدث بالفعل.

فبعد أن خرج من غياهب معسكرات الاعتقال أخذ يعالج مرضاه بهذه النظرية، وكان يريهم الصورة المشرقة للمعاناة، والحكمة من وجودها ...

يؤسفني جداً أن يفهم هذا الدكتور الغربي اليهودي المعنى من المعاناة، ويتلذذ بذكر مردودها النفسي، وحاجة الإنسان الملحة لها، ويوجه الناس لأن يبحثوا عن الحكمة التي ساقتها الأقدار لهم، ويتفكروا في النعم المتنكرة بلباس النقم ؛ في حين نجد مِن أبناء جلدتنا ومِن إخواننا في ديننا مَن يتبرم مِن الأكدار والأقدار، و يضيق ذرعاً بأنواع البلايا والرزايا، ويتنكر للخير المرجو من ورائها، ويحاجج ويجادل ويقول بملىء فيه : " أين الله إذن " ؟!

فسبحان الله !

السبب الذي يقود الإنسان إلى شدة التعلق بربه والفرار إليه، هو نفسه ما يجعل المرء يجحد بالله ويفر من التصديق به والإذعان إليه ! وهو مصداق حديث المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه :

" **فمَن رضيَ فله الرضا ومَن سخط فله السخط**". (رواه الترمذي في سننه وحسنه).

عزيزي الساخط :

انظر إلى حال هؤلاء المُبتلين ممَن فهموا المعنى من البلاء وهم يرفعون أكف الضراعة في الحروب الطاحنة بعد أن قُتّلوا وشُرّدوا وتفرقوا وهم يرددون بأعلى صوتهم :

" مالنا غيرك يا الله " !

انظر إلى حال ذلك المعاق الذي فقد رجليه وذراعيه وهو يتقلب في السعادة قائلاً : " خلقني المولى بهذه الكيفية لألهم الناس وأريهم النعم التي يتمتعون بها وهم عنها غافلون " !

واسمع قصص الناجحين والمبدعين تجدها ملأى بالمعاناة التي أنجبت إبداعاتهم وشكلت تميزهم في ذلك، يقول ابن القيم :

" إذا كانت الآلام أسباباً للذاتٍ أعظم وأدوم، كان العقل يقضي باحتمالها ".

بل إنني أزعم أن الله قد ركب في نفوسنا البشرية الرغبة في المكابدة والمجاهدة والبحث

عــن المعانــاة نفســها، ويدعــم زعمـي قولـه تعالـى : { **لقـد خلقنـا الإنسان في كبد** } سورة البلد 4.
لذلــك تــرى المُرفهيــن المُترفيــن يصابــون غالبــاً بالكآبــة والســآمة لأنهــم لــم يُفعّلــوا تلــك الخصيصــة التي أودعها الله فيهم.
وتراهــم يبحثــون عــن المعانــاة فــي قصــص يختلقونهــا وهميــة، أو صراعــاتٍ تافهــة ســطحية، ويفتعلــون الشــجارات، ويخلقــون جــواً مــن المشــاحنات، بــل وصــل بهــم الحــال للتشــكيك فــي المُسلَّمات والاعتقادات !
وهنــاك مــن المُترفيــن المُميزيــن مَــن يبحــث عــن معانــاة غيــره ويعيــش همــه ويعتقــد أن جمــال حياتــه متمثلــة فــي إســداء المعروف لهم وتفريج كربهم.
ولــذا فإنــي عندمــا قــرأت كتــاب فرانــكل رأيــت أن الاســم الأنســب لكتابه ربما :
" الإنسان يبحث عن المعاناة " !
المعانــاة هــي التــي تصنعنــا وتشــكلنا وتجعــل منــا أشــياءً ذات قيمة..
فإن لــم تجــد المعانــاة فــي حياتــك فأوجدها في نفسك.

ابحــث عــن التحديــات التــي تجعــل منــك إنســاناً أفضــل أو اصنعهــا لنفســك لتــذوق المتعــة فــي حياتــك، والتــي لــن تصــل إلــى غايتهــا إلا إذا عرفــت أضدادهــا وبضدها تتميز الأشياء.
أو كما قال النورسي :
" إنمــا تعــرف الأشــياء بأضدادهــا، فلولا تجربة الحاجة :
لما كان في الكسب لذة.
ولولا تجربة العجز :
لما كان في القدرة لذة.
ولولا العِلة :
لكانت العافية بلا لذة ".

" وهكــذا كمَــن نــزل بــه بِــلاءٌ عظيــمٌ وفاقــةٌ شــديدةٌ أو خــوفٌ مُقلِــقٌ فجعــلَ يدعــو اللّٰه ويتضــرع إليــه حتــى فتــح لــه مــن لَذيــذ مُناجاتــه لــه بــاب الإيمــان بــه، والإنابــة إليــه، ومَــا هــو أحــبَ إليــهَ مِــن تلــك الحاجــة الَتــى قصدهــا أولاً "!

ابن القيم - طريق الهجرتين ص١٠٤

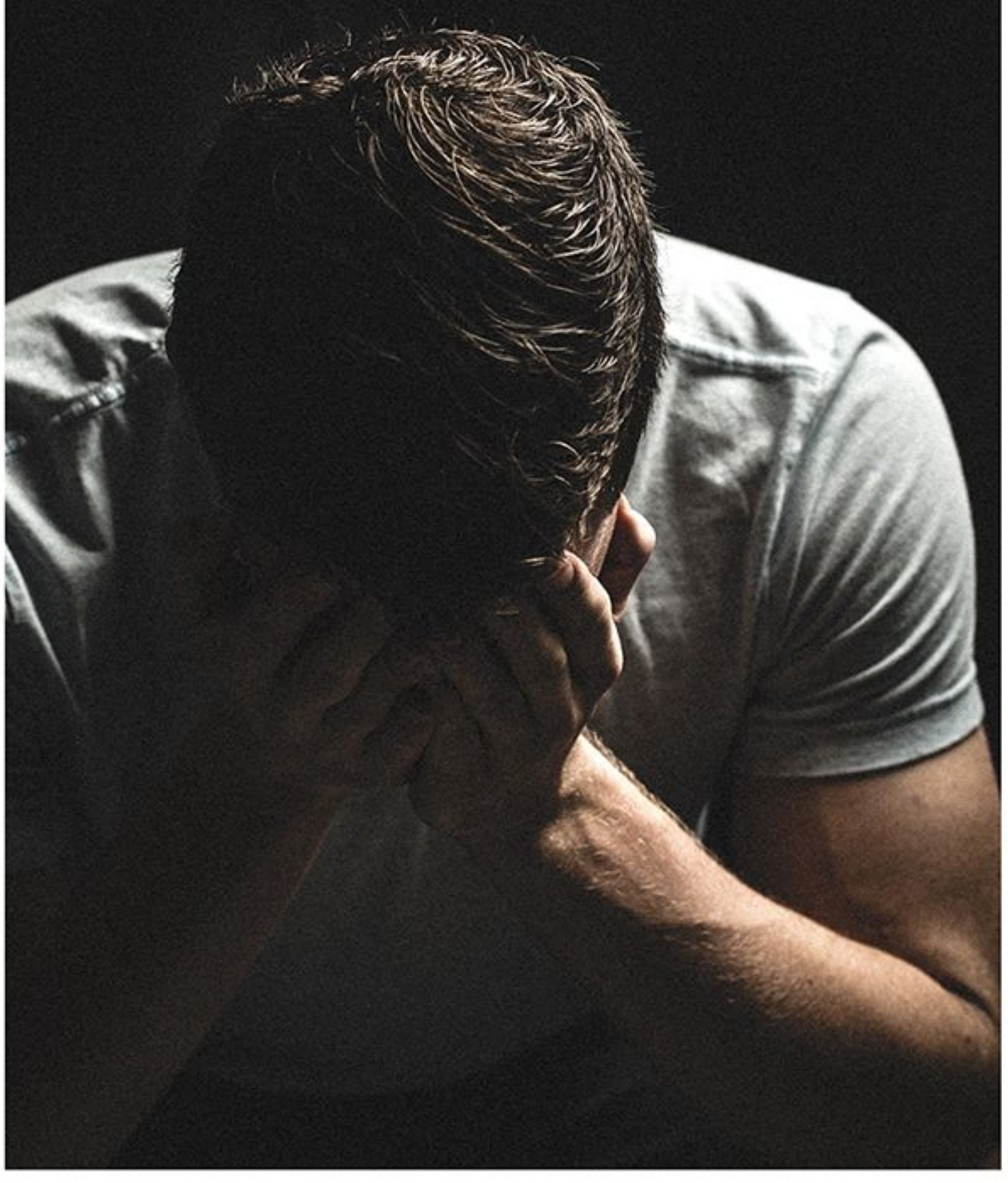

secularism

هـل تحمي العلمانية الحريات الفردية ؟

علي جابر المشنوي
باحث دكتوراه في القانون المقارن بجامعة واشنطن أمريكا
مهتم بالقضايا الفكرية .

(1)

أصبح في حُكم المسلّم به عند كثير من الناس - مثقفين ومُتلقين - أن الحُكم العلماني يُعطي الحريات الفردية مساحة واسعة جداً، فيُقال إن النظام العلماني يحترم الحريات الفردية والدينية ما دامت تلك الحريات لا تؤذي الآخرين، أو بمعنى آخر: في النظام العلماني تنتهي حريتك عندما تبدأ حريات الآخرين.

هذا الشعار يحضر كثيراً في أطروحات المُنادين بالعلمانية والرافضين لها على حدٍ سواء.

فيقدمه الطرح العلماني بصفته مَمدحة يُفاخر بها، ويعتبرها سبباً كافياً لتبني الخيار العلماني، لأنه بناء على ذلك فإن جميع أفراد الشعب سيكونون على درجة واحدة في المعاملة وسيمارس كل واحد ما يشاء من الحريات والقناعات الفردية ما دامت تلك الحريات والقناعات لن تُكبل حرية المُختلف معك من أبناء الوطن الواحد أو تؤذيه. ويقدمه المسلم الرافض للحكم العلماني بصفته مَذمة ومنقصة وسبباً كافياً لرفض الخيار العلماني لأنه خيار يساوي بين الحق والباطل فيعطي للزاني حريته في ممارسة الرذيلة ولشارب الخمر حرية شربها وهكذا.

(2)

في هذا المقال سوف أناقش هذه القضية التي تُقدم كمُسلّمة في بعض أطروحات الفريقين السابقين وهي :

هل تحترم العلمانية الحريات الفردية والدينية ما دامت تلك الحريات لا تؤذي الآخرين ؟

الإجابة : لا !

وقبل الخوض بتفصيل وتدعيم هذه الإجابة، فإني أود ابتداءً التنبيه إلى أن هذا المقال يهدف بالدرجة الأولى أن يكون محتواه في متناول أفهام القراء قدر المستطاع، وبالتالي فلن أتطرق لأطروحات مُنظري العلمانية، والفلسفة النظرية العلمانية، وإنما سأكتفي بذكر مثالين واقعيين من دولتين علمانيتين - أمريكا وفرنسا - وبناء على هذين المثالين ستتضح الصورة.

(3)

الولايات المتحدة الأمريكية :

ولاية يوتا (Utah) هي الولاية الخامسة والأربعين في الولايات المتحدة، وقد انضمت إلى الولايات المتحدة الأمريكية في يناير 1896، وتُعرف هذه الولاية بأنها ولاية المورمن (أتباع جوزيف سميث) [1] حيث هاجر إليها عدد كبير من المورمن بعد قتل جوزيف سميث واستقروا فيها.

ولكن.. ما قصة انضمام ولاية يوتا إلى الولايات المتحدة ؟

في القرن التاسع عشر قدمت الولاية طلباً بالانضمام، ولكنه قوبل بالرفض من الكونجرس الأمريكي ! لماذا ؟ لأن ديانة

المورمن تُجيز تعدد الزوجات (Plural marriage or Polygamy) بينما يعتقد أعضاء الكونجرس أن هذه الممارسة خاطئة، وبناء على ذلك رُفض طلب الانضمام، وبقيت "يوتا" خارج الاتحاد الأمريكي إلى أن أصبح Wilford Woodruff رئيساً لكنيسة المورمن، وكان من الخطوات التي اتخذها هذا الرجل، أن أصدر بياناً رسمياً في 1890 (Manifesto 1890) يمنع ويُجرم تعدد الزوجات مستقبلاً[2] في عام 1895 قدمت يوتا طلباً جديداً بالانضمام إلى الولايات المتحدة، وفي 1896 وافق الكونجرس على هذا الطلب، وفق شروط معينة على رأسها أن يكون المنع من ممارسة تعدد الزوجات مكتوباً في دستور الولاية ! وقد استجابت الولاية لذلك.[3]

تعدد الزوجات - باختصار- هو اتفاق يجمع أكثر من امرأة مع رجل بعقد زواج.

فالموافقة من الجميع وليس هناك إجبار لأحد الأطراف، كما أن تعدد الزوجات لا يتعدى على حريات الآخرين ولا يضر أي أحد خارج محيط الاتفاق، وبناء على ذلك، فإن تعدد الزوجات يدخل في الحريات الفردية التي لا تؤذي الآخرين، وهي التي تحترمها العلمانية كما يتداول في الأطروحات المروجة أو الرافضة لها على السواء !

فلماذا إذن تُمنع هذه الممارسة ؟ ولماذا تُعد هذه الممارسة ذات أهمية كبرى إلى الحد الذي يجعل مجلس الشيوخ الأمريكي يرفض انضمام ولاية كاملة إلى الولايات المتحدة بسبب ممارسة أهالي هذه الولاية لهذا العمل ؟ إن القانون الأمريكي العلماني الذي يُجرم تعدد الزوجات هو نفسه الذي لا يمنع بعض الممارسات المتطابقة مع تعدد الزوجات مثل ما يسمى بـ Threesome or Foursome[4] ما دامت هذه العلاقة مبنية على التراضي بين جميع الأطراف ! فما هو سبب المنع والتجريم في الأول، والسماح في الثاني؟

(4)

فرنسا :

تُقدم فرنسا نفسها ويقدمها المتبنون للخيار العلماني بصفتها دولة العلمانية ورائدة التنوير. فهل واقع الحكم العلماني الفرنسي يحترم الحريات الفردية والدينية ما دامت لا تؤذي الآخرين ؟

في عام 2010 تزوجت امرأة جزائرية برجل فرنسي وانتقلت للعيش معه في فرنسا، وفي نفس الوقت قامت بطلب الجنسية الفرنسية، وقامت هذه المرأة بتنفيذ جميع الخطوات المطلوبة للحصول على الجنسية، وفي بداية هذه السنة (2018) كانت تستعد للحصول على الجنسية، ولكن بسبب تصرف قامت به فقد مُنعت من الحصول على الجنسية ! قامت هذه المرأة بالرفع لمحكمة الاستئناف ولكن المحكمة أيدت المنع واعتبرته قانونياً. فما الذي فعلته هذه المرأة ؟

كل ما فعلته أنها رفضت مصافحة أحد الرجال في أحد الاجتماعات ! وقد بررت تصرفها بأن ديني ينهاني عن ذلك. فكانت الخطوة المُقابلة أن مُنعت من الحصول على الجنسية ورُفض طلبها ![5]

أليست العلمانية - كما يُقال - تحترم الحريات الفردية ؟ أليس من حقي أن أصافح مَن أشاء وأمتنع عن مصافحة مَن أشاء ؟ هل في امتناع الأنثى عن مصافحة الرجال إيذاء للآخرين ؟ أليست يدها جزءاً من جسدها ؟ أليس بناء على احترام العلمانية للحريات فإن من حقها أن تسمح لمَن تشاء وأن تمنع مَن تشاء من لمس جسدها ؟

لماذا يسمح القانون العلماني الفرنسي بالتقبيل بين الرجل والمرأة ما دام الطرفان متفقين ويعتبر أن من حق الرجل أو المرأة الامتناع عن تقبيل مَن لا يريد لأن ذلك جزءاً من الحريات الفردية : بينما في قضية المصافحة يرفض هذا الامتناع ويجعله سبباً لرفض طلب الحصول على الجنسية ؟

هنا يتبين بجلاء أن العلمانية لا تحترم كل الحريات الفردية، وأن ما يُرَدد من أن الحريات الفردية مكفولة في النظام العلماني ما دامت تلك الحريات لا تؤذي الآخرين : هو قول خاطئ ! والأمثلة أعلاه تدل على بطلانه.

(5)

حسناً ما هي الحريات التي يكفلها النظام العلماني ؟ وكيف يمكن فهم النظام العلماني في تعامله مع الحريات ؟ وكيف نفهم السماح بالحجاب - مثلاً - والصلاة وإقامة المساجد وغيرها من الشعائر الدينية التي تكفلها هذه الدول العلمانية ؟

العلمانية منظومة متكاملة تقوم على أسس ومبادئ - ليس هذا محل سردها - حيث يعتني النظام العلماني بتحقيق هذه الأسس والمبادئ وفرضها على الأرض التي يحكمها حتى تكون

هي المبادئ والأسس العليا فوق سواها، ثم بعد ذلك هي تقبل من الأديان والأفكار والممارسات والحريات الفردية والدينية ما يتوافق مع أسس ومبادئ العلمانية، وترفض وتمنع ما يختلف معها !

فالعلمانية لا تسمح للمسلم أن يمارس دينه، لكنها تسمح للمسلم أن يمارس من دينه تلك الأجزاء التي تستوعبها العلمانية وتسمح بها !

إذا استوعبنا هذا فسوف نفهم كيف تسمح دولة علمانية مثل أمريكا بعلاقة تقوم بين رجل وأكثر من امرأة ما دامت تلك العلاقة بالتراضي :

لكنها في المقابل تُجرم تعدد الزوجات مع أنه يقوم على نفس الفكرة ! [6]

وسوف نفهم كيف تعتبر فرنسا لمس أي جزء من جسد المرأة بدون إذنها تعدٍ سافر على حريتها وتحرش يستحق العقوبة لكنها في المقابل :

تعتبر امتناع امرأه عن مصافحة رجل سبباً كافياً لمنعها من الحصول على الجنسية !

العلمانية دينٌ - إن صحت التسمية - له مبادئه ومقدساته وحدوده وأسسه.

وفيه ولاء وبراء.

وهو يقبل من الأفكار والممارسات والحريات ما يتفق معه وما لا يتجاوز تلك المبادئ والأسس والمقدسات.

وأما ما سوى ذلك :

فهو يُمنع ويُجرّم !

ويُحارب بضراوة تحت شعارات عديدة كحقوق الإنسان، والعدل، والمساواة، والتطور، والحداثة وما إلى هذا.

المراجع

[1] Church of Jesus Christ of Latter-day Saints

[2] تجده هنا :
https://www.lds.org/scriptures/dc-testament/od/1?lang=eng

[3] المادة الأولى، الفقرة 29.
للاطلاع هنا :
https://le.utah.gov/xcode/UC_18000101180001 01.pdf

[4] وهو علاقة جنسية بين امرأتين أو أكثر وبين رجل.

[5] https://www.bbc.com/news/world-europe-43839655

[6] أقصد فكرة العلاقة بين رجل من جهة وأكثر من امرأة من جهة، وإلا فإن تعدد الزوجات يختلف عن العلاقات غير الشرعية بين رجل وأكثر من امرأة كما يختلف النكاح عن السفاح.

من مفاسدِ هذه الحضارةِ أنها تسمّي الاحتيالَ ذكاءً، والانحلالَ حريةً، والرذيلةَ فنّاً، والاستغلالَ معونةً!

إبداعات الخنوك

إعداد وتقديم :
أ. أمل شبلان (عقد الجُمان)
مدربة وفنانة تشكيلية ومؤلفة كتاب (جناح الليل)

إن في
الدنيا
أشخاصاً
يجرى في
دمائهم
الفن
وهم
لا
يشعرون !

الفن الفيزيائي

إننا حين نستخدم الفيزياء فنياً فإننا سنخرج من حدود المعقول إلى اللامعقول ، ومن الواقع إلى الخيال شديد الشبه بالواقعية ، بل وتتحول فكرة الذهن واقعاً حقيقياً ، إنها لعبة فيزيائية أو فنية الفيزياء .. ففي الفن ثلاثي الأبعاد سواء كان تصميماً أو رسماً سترى شيئاً غير موجود ؛ ولكنه حقيقي في فلسفة الفضاء ثلاثي الأبعاد 3D Space ذلك الفضاء الذي يمثل الكون الفيزيائي ، والذي توجد فيهِ معظم الأشكال المعروفة للمادة . وتتميز اتجاهات الفضاء ثلاثي الأبعاد بالتعامد على بعضها.

وعن هذا المجال للتصميم ثلاثي الأبعاد يحدثنا الفنان :

عبدالعزيز محمد محسون

مصمم ثلاثي الأبعاد ورسام رقمي

انستقرام: abdulaziz_mahsoon

فيقول :

في البداية أود أن أتكلم بشكل مبسط عن برامج التصميم ثلاثية الأبعاد ؛ هي برامج لرسم الأشياء بشكل ثلاثي الأبعاد ، ويوجد العديد من هذه البرامج وأشهرها برنامج 3D Max وبرنامج MAYA ولها استخدامات كثيرة أهمها تصميم المشاريع المعمارية والتصميم الداخلي وكذلك أفلام الأنيميشن وألعاب الإنترنت ، وهي تعتمد على النظريات الفيزيائية ، ويتم برمجة تلك النظريات الفيزيائية لمحاكاة الواقع ، وقد تطورت هذه البرامج كثيراً لدرجة الوصول للواقعية في إخراج المشاهد مثل الصور والأفلام لدرجة لايمكن التفريق إن كانت مصممة حاسوبياً أو أنها واقعية .

انجذبت كثيراً لهذه البرامج لأنني أحب الخيال وأسعى دائماً لترجمة أفكاري عبر الرسم ، فبدأت رحلتي مع برنامج 3D Max في عام 2002 م ، وبدأت أبحث عن دروس ومواقع لتعليم هذا البرنامج ، ولكنها كانت محدودة جداً للأسف في ذلك الوقت ، كان هناك بعض المنتديات التعليمية العربية، ولكن أغلب مصادر التعليم كانت باللغة الإنجليزية ولا توجد فيديوهات تعليمية ، فكان كل شيء كتابياً أو بالصور فقط .

ولكنني استمريت بالتعلم لإيماني بأن العاطفة والصبر والممارسة هي ما تصنع الموهبة ، وأن الخبرة لاتقاس بالأيام بل بالتجارب .

فكانت الممارسة والتجارب هي سبيلي في تعلم البرنامج ، فكل تجربة كانت تحمل العديد من الأخطاء ، ومن تلك الأخطاء تعلمت .

فبرامج التصميم الثلاثي الأبعاد سهلة بعض الشيء ، ولكن الوصول للواقعية والإتقان يحتاج للتعلم والممارسة وفهم البرنامج بشكل جيد.

والتصميم ثلاثي الأبعاد يشبه الرسم اليدوي التقليدي ؛ فكلاهما يحتاج إلى الصبر والممارسة والأهم من ذلك العاطفة .

وهكذا استمريت في التعلم والتجارب حتى اليوم ولله الحمد فوصلت لمرحلة كبيرة من الإتقان والواقعية في أعمالي ، وأسعد كثيراً بتعليقات المشاهدين لأعمالي ودعمهم لي ، فالجمهور هو وقود كل مصمم وفنان.

وأخيراً أصبحت أقوم بعمل دورات لهذا البرنامج ، لأن الكثير من المصممين والمصممات يستخدمونه وأصبح مطلباً هاماً خاصة في مكاتب التصميم الداخلي والمعماري ، ويسرني أن أشارك خبراتي في هذه المجلة ، لأن مجتمعنا في حاجة إلى التطور ومواكبة الدول الأخرى ، وهذه سنة العالَم : التطور ثم التطور... وإليكم بعض أعمالي في الصفحات التالية .....

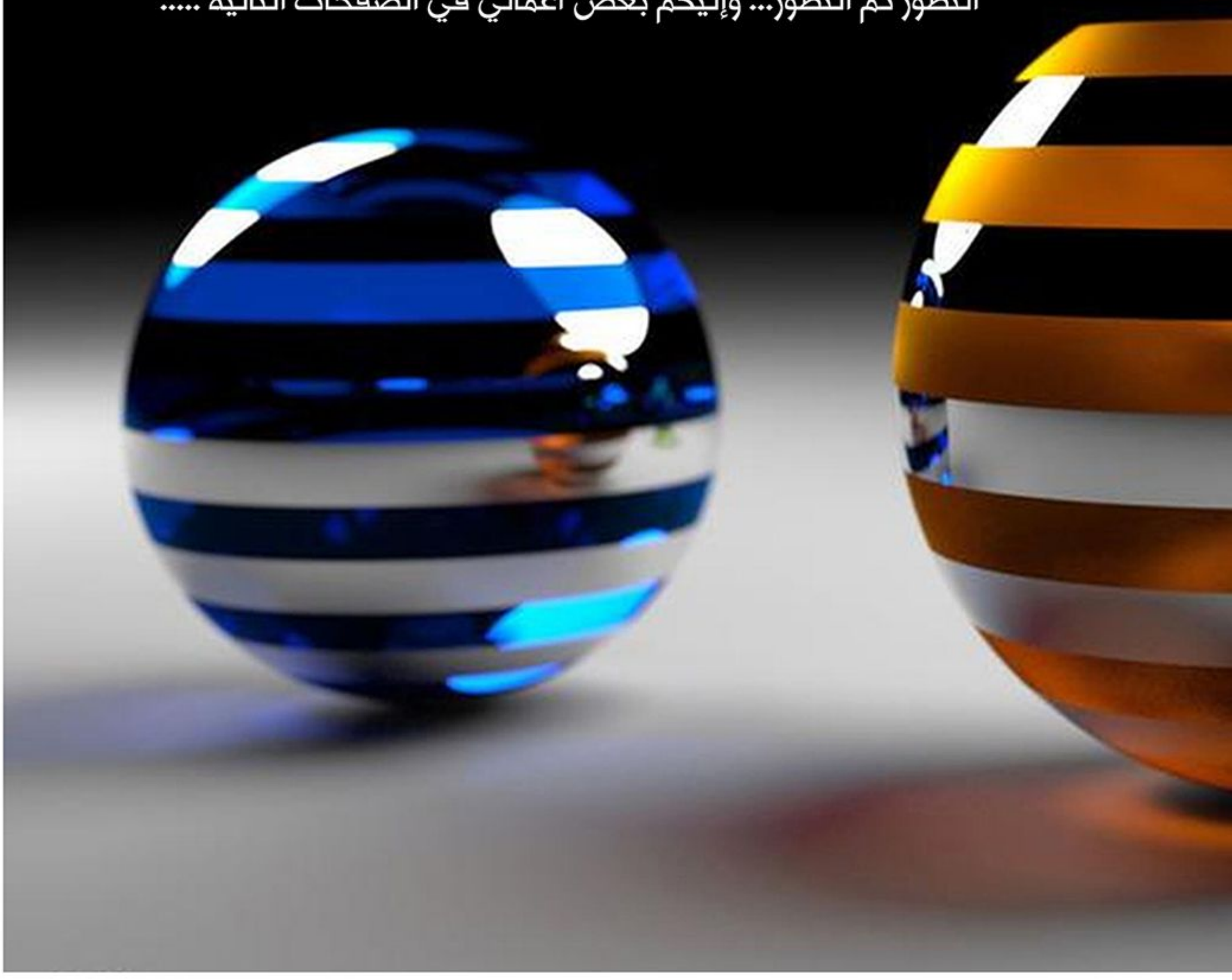

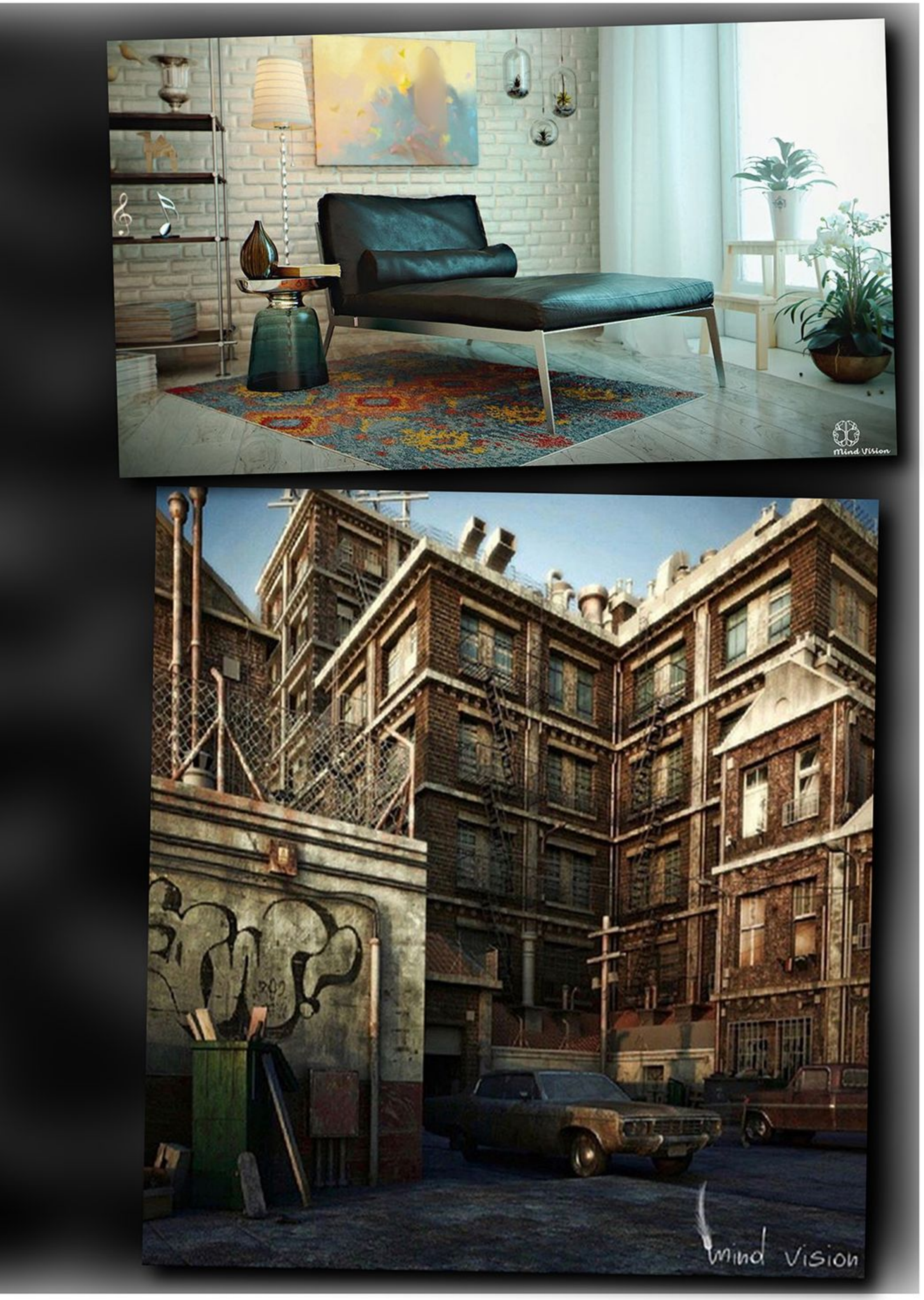
Mind Vision
mind vision

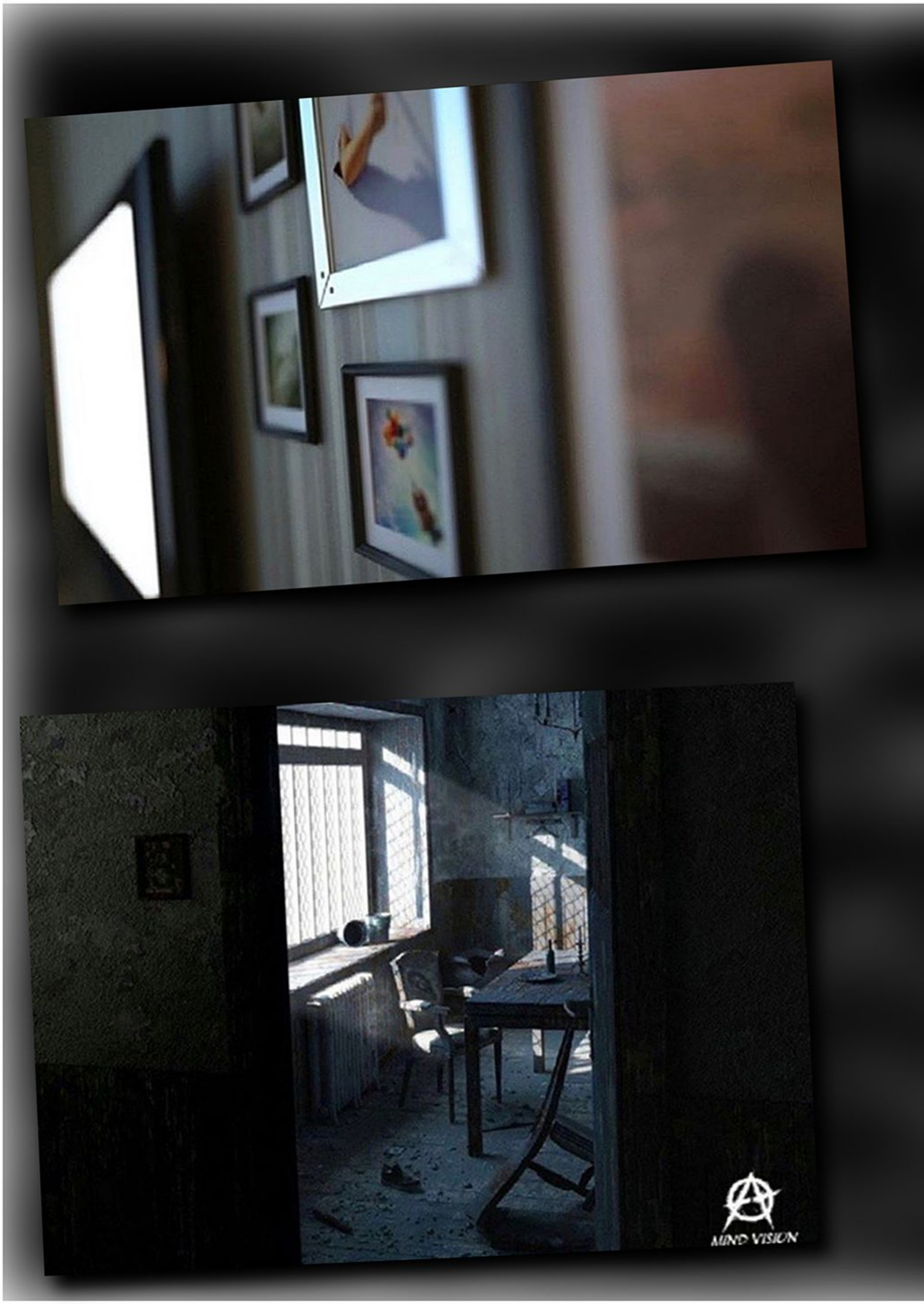
MIND VISION

الرسم ثلاثي الأبعاد

تلعب زاوية الرؤية دوراً أساسياً في مجال الرسم ثلاثي الأبعاد ، فهو يختار الزوايا المناسبة التي سيقف فيها المُشاهد لإنتاج هذا الفن مع التلاعب بالنور والظل ليكتمل التجسيم الوهمي في الصورة الذهنية الناتجة .

فهو يعتمد أولاً على (منظور) زاوية الرؤية ، والتي يتم التلاعب بها عن طريق (أبعاد الجسم) المرسوم ، وثانياً الإحساس الوهمي بـ (العمق) والذي يتحدد على أساس النور والظل . وسوف نطالع في الصفحات التالية بعض أعمال الفنان الأردني :

عمر بن إبراهيم المغربي Omar Almughrabi

انستقرام : omarmugh

حيث يظهر فيها دقة رسمه أو مجسماته بناء على اختيار الزاوية الصحيحة للمُشاهد ، والتي إن تغيرت ظهر الخداع البصري الذي يتميز به هذا الفن .

الخداع
الحقيقة

الخداع
الحقيقة

الخداع

الحقيقة

الخداع
خداع
آخر

طلقم
قريش

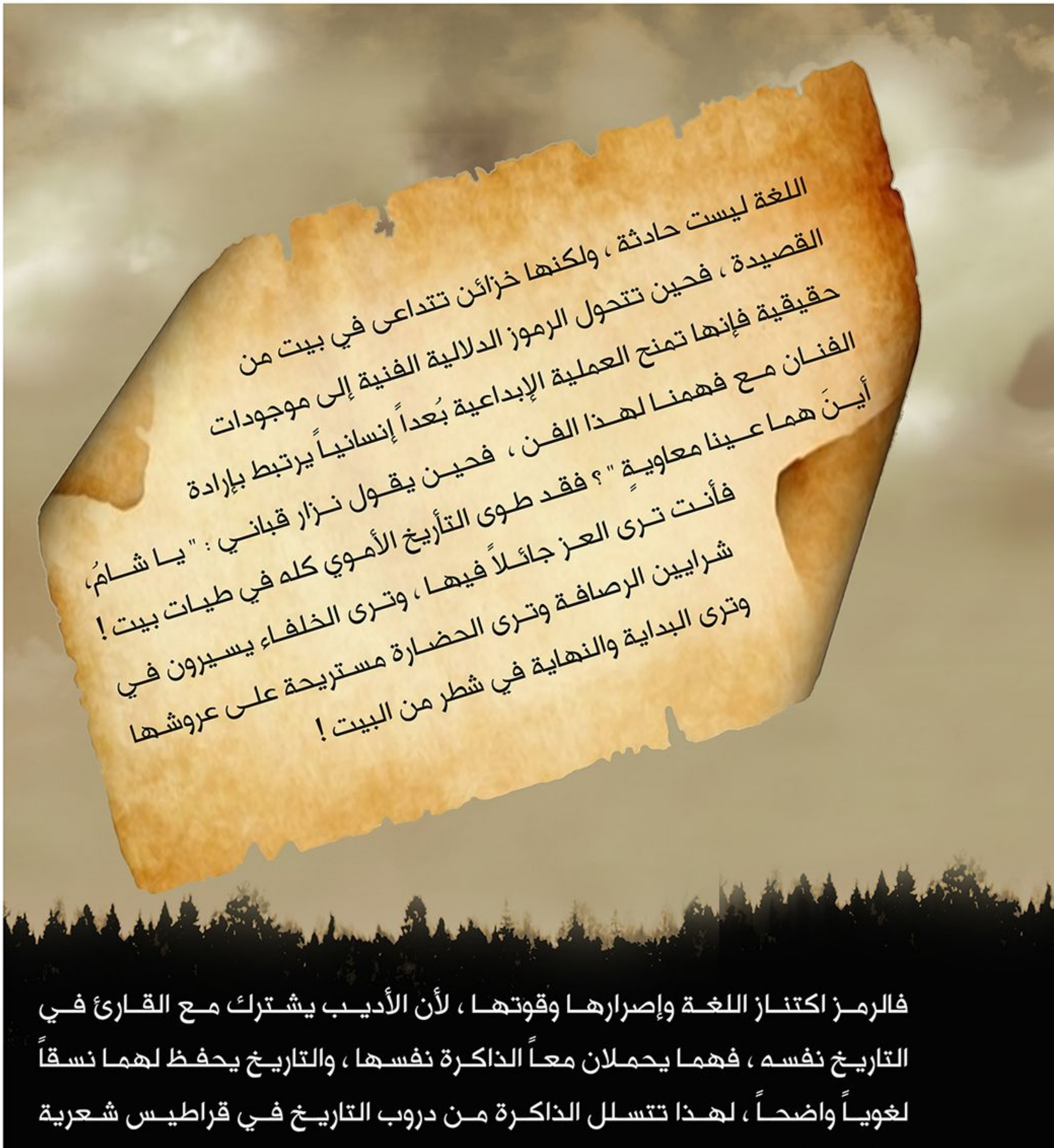

فالرمز اكتناز اللغة وإصرارها وقوتها ، لأن الأديب يشترك مع القارئ في التاريخ نفسه ، فهما يحملان معاً الذاكرة نفسها ، والتاريخ يحفظ لهما نسقاً لغوياً واضحاً ، لهذا تتسلل الذاكرة من دروب التاريخ في قراطيس شعرية يجدّده الأدب المعاصر .

قد تكون الخيمة للبدوي هي رمز المأوى ، والحسام هو رمز الدفاع ، والإبل رمز الصبر .. وهكذا ، وقد يأتي الرمز استدعاءً لشخصيةٍ رمزيةٍ واضحةٍ ، فينتزعها الأديبُ من الماضي ليعطيها حقها في الاستمرار ، وقد شهد الأدب أن البعد الفني للغة هو ثمرة أبناء هذه اللغة ، فهم يصنعون مناهج أفكارهم الرمزية ، ويتفاعل الرمز لديهم بتفاعلهم هم معه .

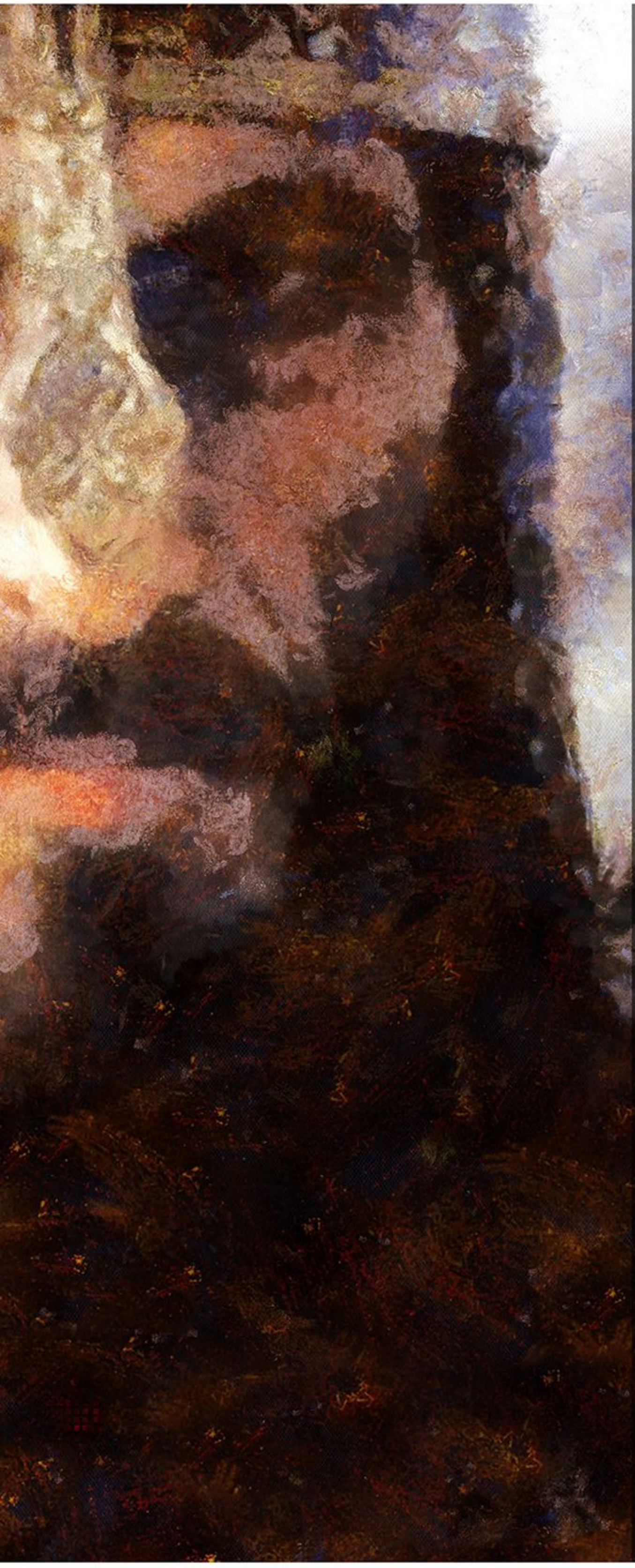

نجـد مثـالاً لمـا سـبق رمزيـة صقـر قريـش ، رمـز العربـي، مـع رمزيـة النسـر المُعلـق فـي العَلَـم، ورمزيـة الحـزن.. وهـو مـا تزخـر بـه بالفعـل القطعة الفنية لأحمد عبدالقادر :

ليسانس آداب - قسم فلسفة

جامعة عين شمس ٢٠٠٠م

وهـي كلمـات صقـر قريـش الأخيـرة للفـارس المُدجـج بخيبـات الربيـع والألـم ؛ بعدمـا تعثـر حصانـه فـي حفـرة النسـيان ، فانكسـر وسـقط بعيداً عن الخارطة !

كان يسـمع كلمـات الصقـر الذهبـي الشـاحب الـذي يرضـخ بالدمـاء فـي العَلَـم المُنكسـر ، وهـو يلهـو برمـال الوقـت يترقـب مـوت حصانـه الـذي يئن شدة الوجع :

صقر قريش ...

لا نـدم يـرأب صـدع شِـقاق هـذا الجرح الغائر..

وكأنه هُوَة الأبد ..

لاشـيء يطفـئُ انفجـار الحمـض المتقد ..

فـي أمعـاء حـزنٍ سـعرانٍ ينهـش إرادة الروح القلقِ للنهوض ..

ويكسـو جـدران أوردة الجسـد الـذي

أُنهـك بمخمـل النكسـات وبـلادة الصدأ ..
والرَكـبُ السـعيد مَـلّ انتظـارك أيهـا الفارس المُدجج بالخيبة والألم ..
فاتك أن تحرسَ الجَملَ المُفدى ..
والأحبة ودّعوك بالدموع والورود ..
غـادروك وصلـوا عليـك في الغيـاب ..
وَرِثاكَ بشدْوِهِ حادي القافلة ..
سـواءٌ عليـك وقفـتَ مُتحامـلاً علـى ركام الوجع ..
أم لم تحاول أن تقف ..
لا شـيء يَلمـحُ عثرتـك إلّا الخريـف في عيون ذابلة ؛
نظـرةُ عتـابٍ مِـن حِصانِـك تلـكَ التي تثقبك ..
ورعشة ساقِه المُنكسر ..
تجعلك تستوعب عُقدة المأساة !
لا تقف !
فات الميعاد ..
أعـد الغبـار إلـى فـراغ زلاتـك المُخزية ..
وكُفَّ عن اجترار مَفاخرك ..
وانتصارات حروبك الغابرة ..
وانظـر جحيـم حفـرة هـذا الحضيـض مِن الوحل والدمار ..
هذا الخراب مِن الجنون والهرج ..
وامتلئ بحسرةِ ما تزرعه ها هنا ..

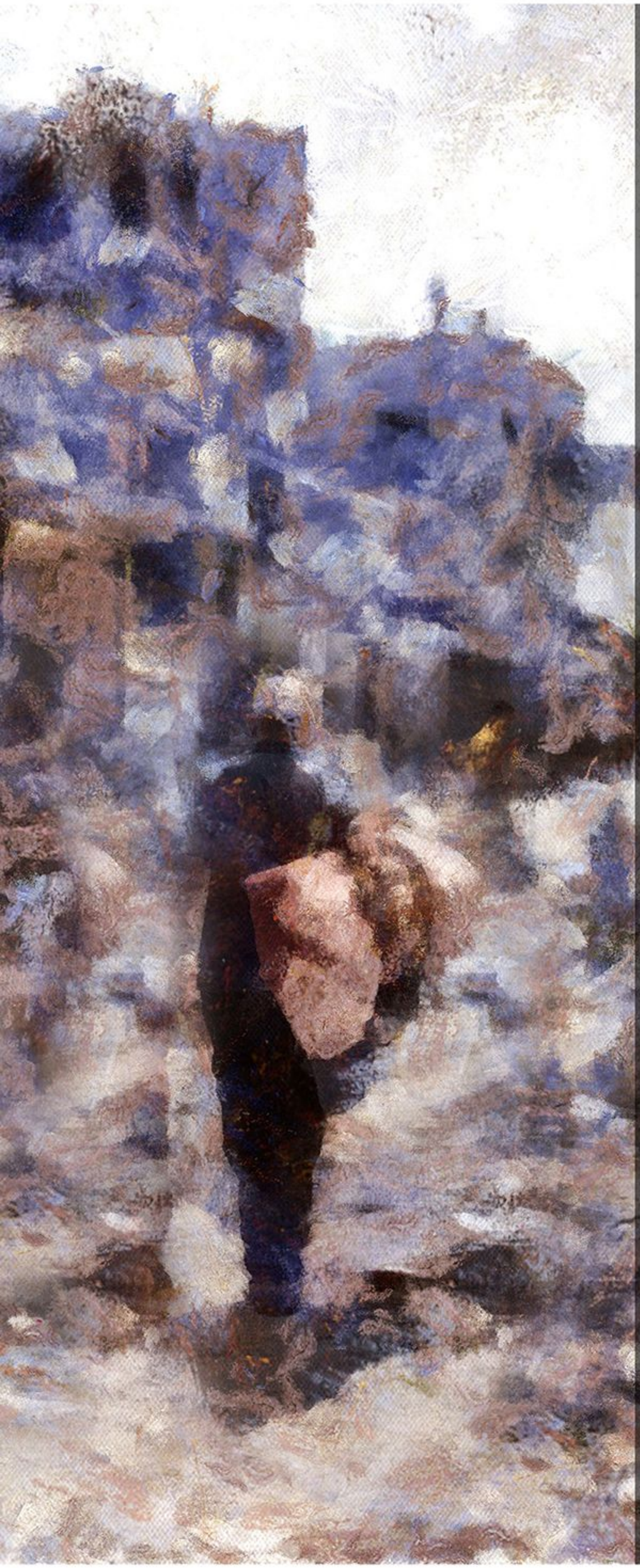

وأنت تحلب أذناب البقر ..
وحُلكِّ لمعان سيفك بجانبيك ..
أو احمل حصانكَ المخذول
وانصرف ..
ولا تَعِد مَن تَعِد فوق منبر
الخديعة أن تعود ..
أنا وأنت نعرف جيداً أنك أبداً لن
تعود ..
لن تعود يا شيخ العرب ..
فالزم مكانك ..
وخضّ مجدك البالي في مرآة
نبلاءٍ يسجدون لشمس نرجسك ..
لوعود انبعاثك الجديد من موتٍ
مُكرر ..
سيوف كتفيك مثنية يا سيد
السلام ..
فكف عن قذف جوارح السماء
بأفراخ الحمام ..
فلا الغربان تهاب سهماً ..
قد ارتخت رأسه في الرمال
كالنعام ..
ولا الشعوب باتت تأكل رجيع هذا
الكلام ..
فالزم صنان سموكِ ها هنا ..
الزم جمادك المفدى سيدي ..
فارس النصر المجيد ..
أغمض سواد قلبك ها هنا بجانبي ..
ولا تحاول أن تقف !
ثم تدثر صقر قريش بما تبقى
من خرقة العَلَم المُمزق وأغمض

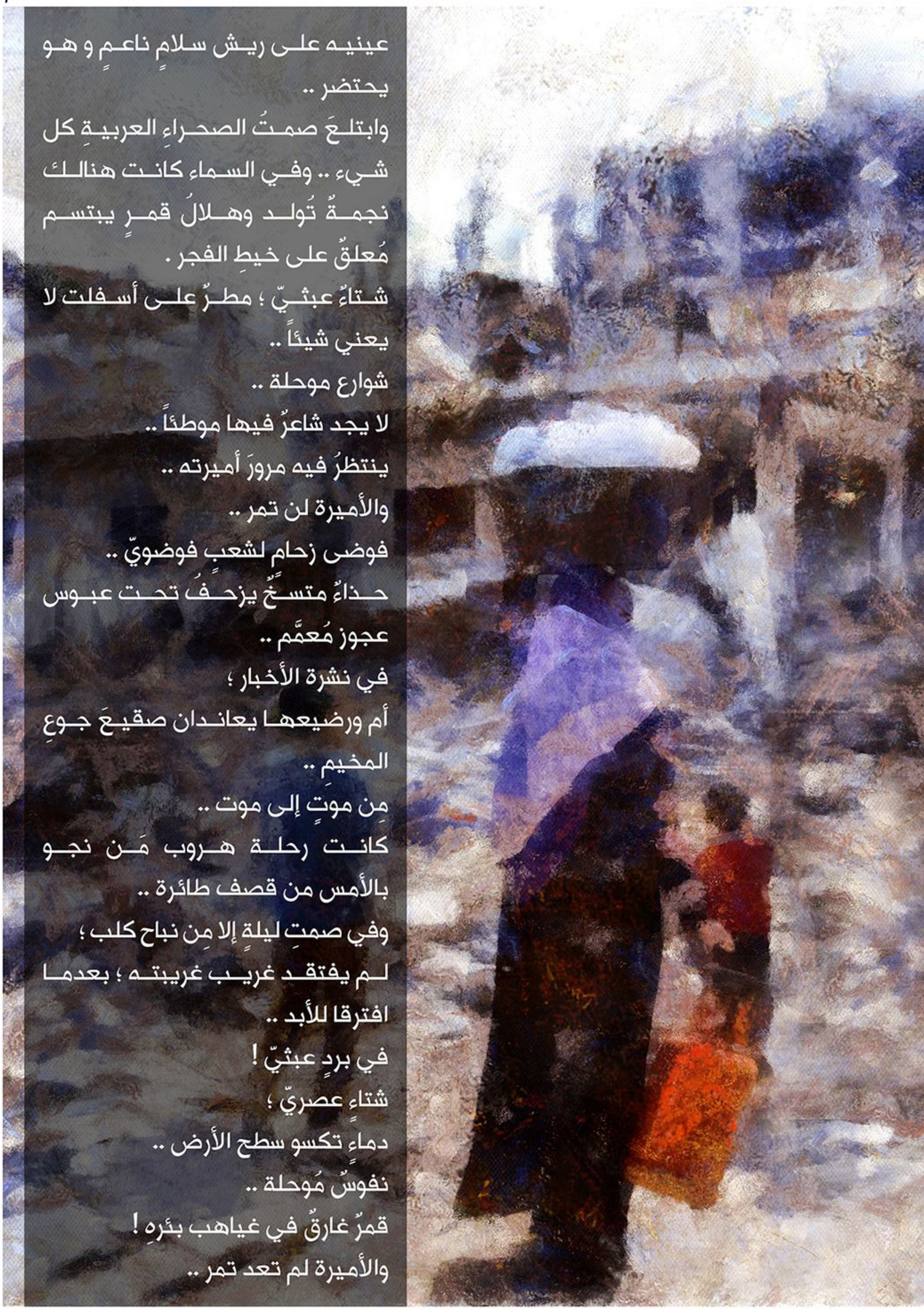

عينيه على ريش سلامٍ ناعمٍ و هو
يحتضر ..
وابتلعَ صمتُ الصحراءِ العربيةِ كل
شيء .. وفي السماء كانت هنالك
نجمةٌ تُولد وهلالُ قمرٍ يبتسم
مُعلقٌ على خيطِ الفجر .
شتاءٌ عبثيّ ؛ مطرٌ على أسفلت لا
يعني شيئاً ..
شوارع موحلة ..
لا يجد شاعرٌ فيها موطئاً ..
ينتظرُ فيه مرورَ أميرته ..
والأميرة لن تمر ..
فوضى زحامٍ لشعبٍ فوضويّ ..
حذاءٌ متسخٌ يزحفُ تحت عبوس
عجوز مُعمَّم ..
في نشرة الأخبار ؛
أم ورضيعها يعاندان صقيعَ جوعِ
المخيمِ ..
مِن موتٍ إلى موت ..
كانت رحلة هروب مَن نجو
بالأمس من قصف طائرة ..
وفي صمتِ ليلةٍ إلا مِن نباح كلب ؛
لم يفتقد غريب غريبته ؛ بعدما
افترقا للأبد ..
في بردٍ عبثيّ !
شتاءٍ عصريّ ؛
دماءٍ تكسو سطح الأرض ..
نفوسٌ مُوحلة ..
قمرٌ غارقٌ في غياهب بئرهِ !
والأميرة لم تعد تمر ..

لعبة الرمز في الفن التشكيلي

أ . أمل شبلان (عقد الجمان)
مدربة وفنانة تشكيلية ومؤلفة كتاب (جناح الليل).

يعرف الرسام أن لوحاته تشي به وأنها صوته الملون، فهو يخلق في كل مرة كوناً كبيراً بالأكاذيب الصغيرة، ويشغل الزوايا الجادة بتراكيب غير موجودة إما هروباً بهويته، أو نأياً عن الحقائق المرفوضة، أو تمرداً على العادي لإخراج فكرة مجازية غريبة، فيصنع رمزاً يدل على غاياته وينشد أنقى الأشكال ليثير لدينا انفعالا جمالياً، أو يمس قضايانا ليثير انفعالنا الإنساني، فيبني العلاقة الخفية بيننا وبين لوحته، فهو يبكي ويضحك ويتنهد ويحتج ويرتعب في لوحة !

وقد لا يستخدم الفن الرمز .. يتكيف مع وظيفته فيكون مستقلاً بنفسه لا يعدنا بشيء ولا يلوح لنا بشيء، ويرى أنه ليس مكلفاً أصلاً بترديد الحياة وتكرارها على الورق ! ولكنه يبقى في غايته الكبرى يبني العلاقة التي كانت مهملة بين الرسام والمشاهد، ويردم الهوة العميقة التي صنعتها اللوحات التكرارية في محاكاة الطبيعة محاكاة تقليدية دون أن يتدخل الرسام بدوره، فالرسام مخترع ؛ يخترع له رمزاً خاصاً كان أو مشتركاً وضعياً، ثم تتحول الصور من الصور التلقائية إلى دلالات يتعارف عليها الناس، كالمفردة الدالة من اللغة تدل على مدلول خاص، يقول الدكتور طه الليل :

" إن الأعمال الفنية والتراكيب التأليفية الغريبة المعتمدة في الفن تحيلنا إلى علاقة الشكل بالمضمون الدلالي والرمزي، والذي يطرح إشكالية العلاقة بين الرمز والعلامة في الصورة الفنية ".

والرسم في أوله قائم على الرمز، والرمز الدلالي أصل معيشي بدأ منذ اكتشفت الرموز في الكهوف وصُنعت منها اللغات وعُرف التاريخ، فهو أولٌ في لغة الخطاب، حيث تحول التاريخ المرصود بالصور إلى سطور، غير أن الرمز الدلالي في الفن سواء كان شعراً أو رسماً يتجاوز الوظيفة الدلالية إلى الفنية .. ويثير في المتلقي الشعور، فإذا أثار انفعال المتلقي فهو ناضج، وإذا أثار ذاكرته فهو ناجح، كما في رمز حمامة السلام :

الحمامة البيضاء مع غصن الزيتون، والتي تثير في المُتلقي ذاكرة السلام دون أن يفصح الرسام بها، وحمامة السلام تكوينٌ قديم أنشأه بيكاسو عام

1949م لتصبح شعاراً للمؤتمر العالمي لمناصري السلام الذي انعقد من 20 إلى 25 نيسان / إبريل في باريس وبراغ :

حيث قام بتعديلها عدة مرات ثم اختيرت من قبل الشاعر والروائي لوي أراغون عمود الحزب الشيوعي الفرنسي، ثم نشأ الارتباط عالمياً بين الحمامة والسلام، رغم أن بيكاسو كان يقول : " إن الحمام طيور بخيلة وتحب الشجار، ولا أفهم لماذا صُنفت على أنها شعار السلام " !

فقد يكون الرمز الدلالي التشكيلي عالمي اعتباطي كما في حمامة بيكاسو، أو ضمنياً كالارتباط بين الذئب وليلى ذات الوشاح، أو التاج للملك، أو الوردة

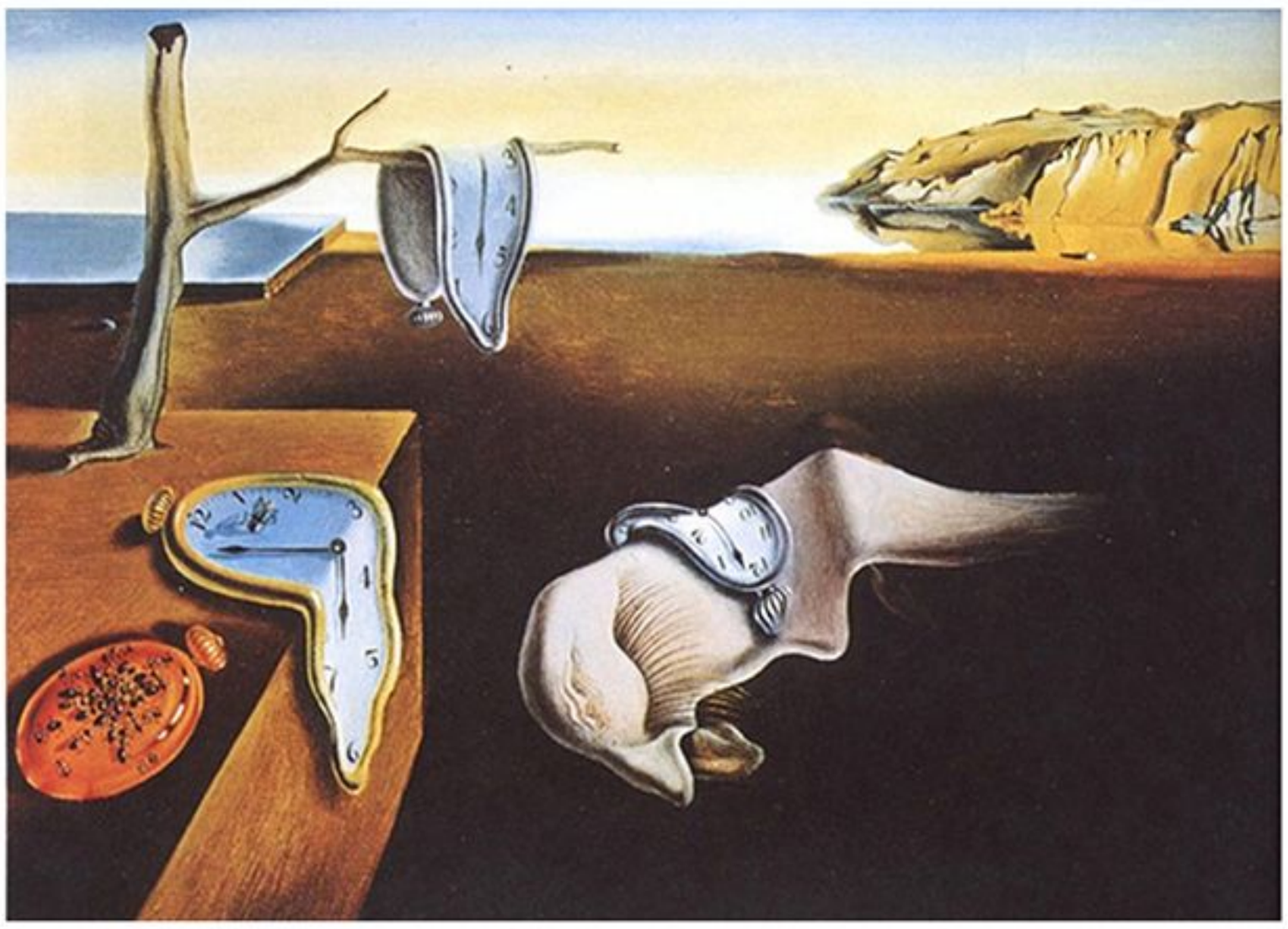

للأنثى، أو كوكب زحل كرمز للجمال غير المسبوق أو النشوة في الشعور، أو دلالة الميزان على العدل. وقد يكون رمزاً ثقافياً دينياً يختص بفئة دون أخرى كما نرى في الرموز المسيحية والصلبان الخاضعة لسلطان الكنيسة، أو الهلال الدال على الإسلام. وقد تختلف الرموز باختلاف الفئات لنفس الشيء، كالفراشة التي قد ترمز إلى التغيير لأنها تخضع للتطور من ولادة وحياة وموت، أو رمزاً للسعادة العائلية كما عند اليابان، أو الخلود كما عند الصين، وقد تكون الرموز فردية شخصية يخلقها الفنان خاصة له، كالساعات الذائبة في لوحات سلفادور دالي، ويقول بعض الباحثين عنها : " إذا كانت لوحة (إصرار الذاكرة) تصور حالة حلم، فالساعات الذائبة والمائلة ترمز إلى مرور غير المنتظم للوقت الذي نشعر به أثناء الحلم" .

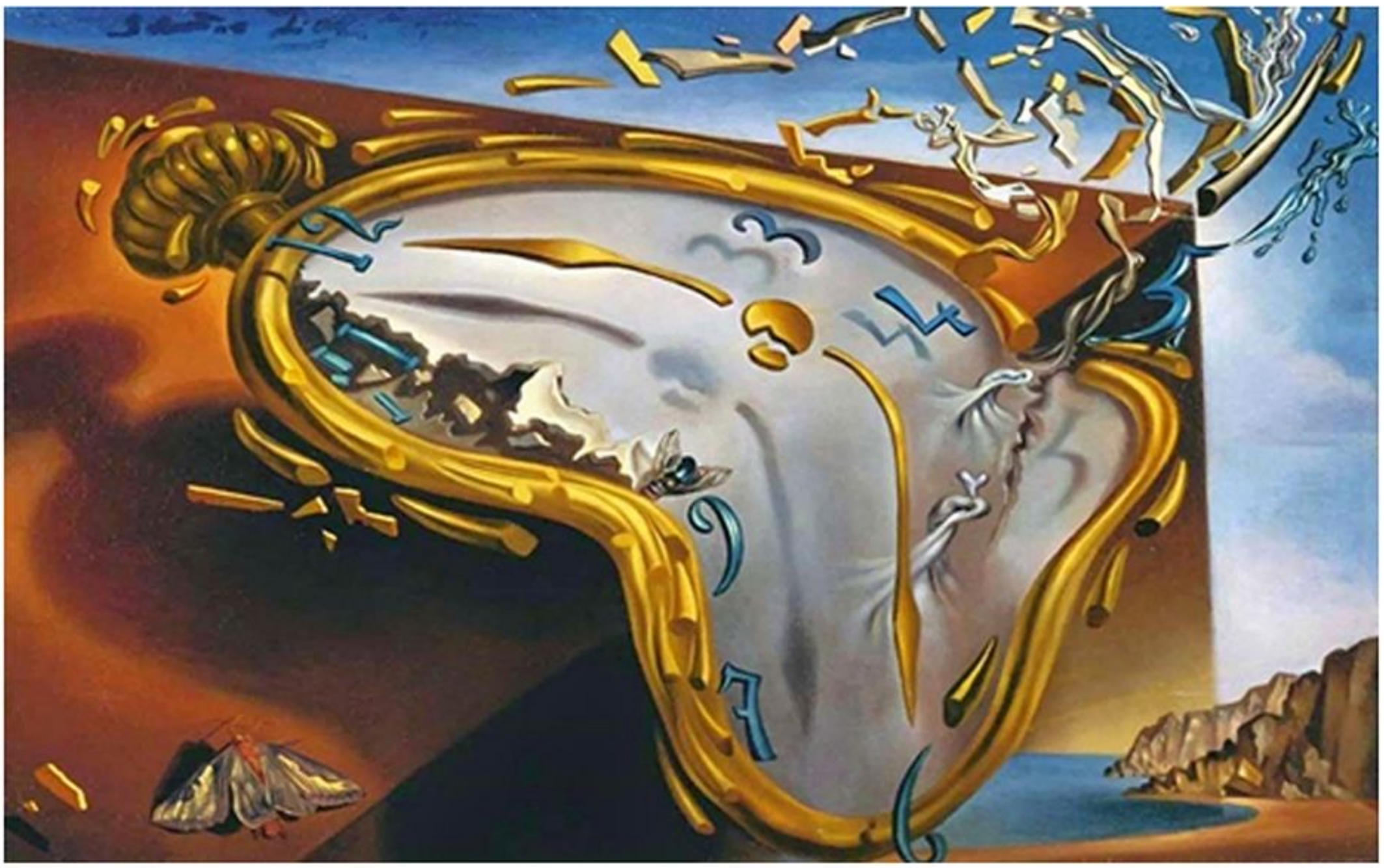

وقد يكون الرمز على شكل تكنيك معين كتكنيك فان جوخ المنقط في لوحته الشهيرة (ليلة النجوم)، وقد يكون ارتباطاً واعياً بين الفنان وسيرته كأذن فان جوخ التي قطعها.

لقد رسم فينست فان جوخ لوحة ليلة النجوم عام 1889م من ذاكرته، حيث كان يتخيل هذه الليلة خارج غرفته في مصحة سان ريمي في فرنسا، وكتب لأخيه ثيو في ذلك الوقت : " الموت مثل رحلة إلى النجوم، أن تموت بسلام كأن تذهب إلى هناك سيراً على الأقدام " .. واللوحة موجودة الآن في متحف نيويورك للفن الحديث.

ثم تحولت هذه اللوحة من لوحة أبدعها فنان ترمز لشيء ما في وقته ؛ إلى كونها رمزاً بنفسها، فقد خلقت للفنانين المعاصرين لوحاتٍ ترمز إلى الجنون أو الخيال حين يُعاد رسم هذه اللوحة بأسلوب عصري يصل الفنان بغايته ..

وكما يقول الدكتور طه :

" من ذلك يمثل الفن حسب المدلول الرمزي فِعلاً ونشاطاً من النشاطات الرمزية، وأن العمل الفني بوصفه صورة رمزية للوجدان البشري، فالفن هو الذي يقوم على إبداع أشكال قابلة للإدراك الحسي، بحيث تكون هذه الأشكال معبرة عن الوجدان البشري، وأن ما يدركه الإنسان في الفن بصورة معبرة إنما يدرك كشكل، فنجد الرمز كل ما يحل محل شيء آخر في الدلالة عليه، لا بطريق المطابقة التامة وإنما يطرح علاقة جدلية مع مفهوم الإيحاء في تعبيرية الفن ".

ومن صور الرمز الحديثة صورة عام 1993م للمصور كيفن كارتر لنسر أفريقي يترقب موت طفل في قرية أيود أثناء مجاعة جنوب السودان.

فقد حمى النسر هذه المجاعة من الانقراض من الذاكرة، كما حماها الرسام البولندي باول كوتشينسكي Pawel Kuczynski في لوحته، حيث رتب رمزين ترتيباً لاذعاً في نقد ما يحدث للعالم من الفقر والسلام. وهي ضمن لوحات كثيرة تعبر عن الفقر بأوجه مختلفة.

وهو من أشهر الفنانين المعاصرين المهتمين باستخدام الرمزية في أعماله. مثل هذه اللوحة للربط بين الوقت والعمر ارتباطاً دلالياً بالبندول الذي يزيد من إتمام حفر القبر، ويزيد من اقتراب الموت.

ويعود بنا لحمامة السلام الأولى في هذه اللوحة .. فيرمز للحرب والسلم وكيف يسير العالم بينهما ..
حيث نرى السلام لعبة حربية يلعب بها طفل ! فالرمز نشاط كوني تواصلي بين الفنان والمتلقي ..

لقاء العدد :
جيل ليبوفتسكي

إعداد ومراجعة ترجمة : البشير عصام المراكشي
مقدمة وتعريف : رضا زيدان
ترجمة : بنت عبد الرحمن

جيل ليبوفتسكي Gilles Lipovetsky هو فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي معاصر، ولد عام 1944م، وهو أستاذ في جامعة جرنوبل Grenoble الفرنسية، ويحمل دكتوراه فخرية من أكثر من جامعة، ويعد من أشهر الفلاسفة الرئيسيين الفرنسيين. وتعود هذه الشهرة إلى كتابه الصادر عام 1983م: **"عصر الفراغ"**.

كان في أول حياته ماركسياً، ورغم تحوله إلى الرأسمالية واعتبارها النموذج الاقتصادي الوحيد المشروع، إلا أن تحليله لبعض القضايا الاجتماعية يحمل بعض التأثرات الماركسية الخفية.

لكن بشكل عام ليس ليبوفتسكي فيلسوفاً تقليدياً ينتمي لفلسفة كانطية أو هيجلية أو غيرها، ولا يحلل نصوص الفلاسفة القديمة مثل هايدجر، ولا تشغله اللغة مثل فلاسفة اللغة العادية، وإنما كان مشغولاً بمظاهر الحداثة على الأفراد والمجتمع خلال القرن العشرين والألفية الجديدة.

وذلك مثل الفردانية والاستهلاك وطبيعة الواجب والأخلاق عند الناس، بل واهتم بمظاهر هذه المظاهر، فهو يكتب عن المكياج والإعلانات التجارية وكيفية قضاء الناس وقت الفراغ وغير ذلك من الأمور الصغيرة، ويتناولها في أعماله بمعالجات مختلفة ليكشف عن مدى التغير في الطبيعة الإنسانية.

ومن أهم ما قدم في كتابه "عصر الفراغ" هو رصد الأضداد، فقد طرح أمثلة كثيرة على تناقضات الإنسان خلال القرن العشرين، مثل التمسك بحق الانتخاب والامتناع عن التصويت وغير ذلك.

وفي كتابه **"أفول الواجب"** عام 1992م حاول تحليل طبيعة الواجب عند الإنسان المعاصر، وانتهى إلى أن الإنسان يحاول اختراع أخلاقه، وهذا نابع من الحرية الواسعة الآن، ونتيجة لذلك تجد تناقضات أيضاً، فتجد ظهور أصوليات أخلاقية تدعو إلى الأخلاق، وتجد إلحاداً صريحاً مقاتلاً يدعو إلى نبذ كل أساس أخلاقي، ويرى المؤلف أنه "لا شك في وجود روابط

ممكنة بين هذين المحورين، إذ يمكن تفسير الغليان الأخلاقي بكونه رد فعل على انهيار السلوك، وتفسير انتعاش الضمائر على أنه كفاح للخروج من دائرة الفردانية منعدمة المسؤولية" [أفول الواجب، ترجمة البشير عصام المراكشي].

باختصار: للمؤلف اهتمام كبير بالتغير الاجتماعي منذ 1965م إلى اليوم على المستويات التي رغم صغرها إلا أن لها دلالاتها، وهذا التغير وصل إلى أقصاه في الحداثة مع الألفية الجديدة، مع توفر التكنولوجيات بشكل عام والتسوق المبالغ فيه، ولذلك يعتبرها المؤلف مرحلة حداثية قصوى hyper-mode مثل مرحلة ما بعد الحداثة بالنسبة للحداثة.

البشير عصام المراكشي : من علماء الشريعة المغاربة ومن الدعاة الإسلاميين حالياً. ولد الشيخ عام 1972م بمدينة مراكش، ثم انتقل إلى الرباط ليحصل على شهادة مهندس الدولة في الاتصالات.

حصل من كلية الآداب والعلوم الإنسانية شعبة الداراسات الإسلامية على الدكتوراه في الفقه وأصوله تحت عنوان (المصالح والمفاسد في المذهب المالكي وتطبيقاتها المعاصرة).

قرأ على عدد من المشايخ المحققين في مجالات الفقه واللغة والعقيدة. ومن أبحاثه المنشورة : (**قلائد العقبان بنظم مسائل الإيمان**)، (**العلمنة من الداخل**)، (**تكوين الملكة اللغوية**).

وقد ترجم كتاباً مهماً وهو "**أفول الواجب**" للفيلسوف جيل ليبوفتسكي ترجمة حديثة دقيقة.

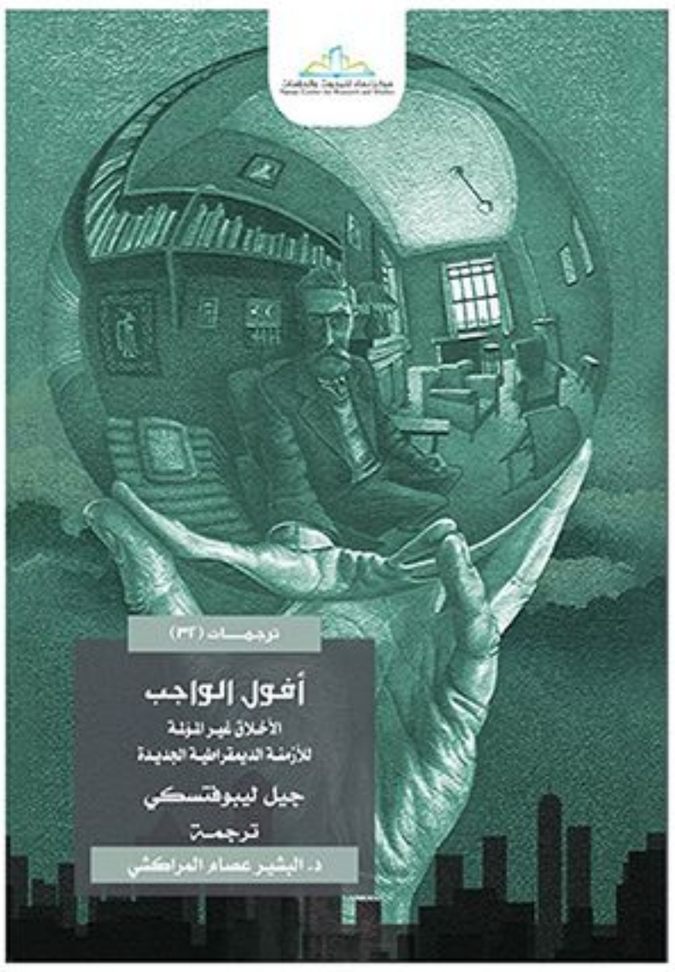

غلاف كتاب "أفول الواجب : الأخلاق غير المؤلمة للأزمنة الديموقراطية الجديدة" الطبعة الأولى 2018م - مركز نماء للبحوث والدراسات

نترككم مع الحوار والتنويه إلى عدم تبني جميع أفكار وردود جيل ليبوفتسكي بالضرورة...

عصام : قمت بالتأسيس لمفهوم "الحداثة المفرطة" - hyper modernité، والتي هي حداثة محمومة ومبالغ فيها، تميّز اللحظة التاريخية الجديدة للمجتمعات الليبرالية، وتحل محل كل الأنظمة المنافسة الأخرى. هل تؤسس هذه الحداثة المكتملة والمعَوْلَمة - حسب رأيك - لنوع من مفهوم "نهاية التاريخ"؟

ليبوفتسكي : لا يتطابق النموذج الاجتماعي التاريخي للـ"حداثة المفرطة" مع مصطلح " نهاية التاريخ " الذي اشتهر على يد **فوكوياما**. فإن الحداثة المفرطة لا تعبر عن نهاية الحداثة ولا عن نهاية التاريخ. إنها لحظة ثانية للحداثة، تعني تكريس وتصلب العناصر الثلاثة التي صنعتها الحداثة (التكنولوجيا، السوق، والديمقراطية الليبرالية لحقوق الإنسان) فضلاً عن محو "الأديان العلمانية" (**ريموند آرون**) التي ادعت حيازة مفاتيح الوضوح النهائي لمستقبل الانسانية.

لقد تلاشت هذه النظرة اللاهوتية للتاريخ : يتسم عصرنا بـ"أزمة المستقبل"، ونهاية الثورة، ومحو ديانة التقدم.

لقد تلاشت البقايا "الدينية" في الحداثة (فكرة الثورة الراديكالية، الإيمان بالتقدم اللامتناهي والضروري والذي لا رجعة فيه). نحن لا نعرف ماذا سيحدث غداً، ولم يعد عندنا مخططات "لاهوتية" كبرى لتفسير مسار المغامرة البشرية.

هذه الطريقة في فهم التاريخ قد انتهت فعلاً. لكنها ليست نهاية التاريخ ! بل هي فقط نهاية طريقة معينة لفهمه.

نحن في اللحظة التي صار تمثيلُ المستقبل فيها مفتوحاً، ولا يمكن تقرير شيء بصدده : لا أحد يعلم ما سيكون في الغد، وما الوجوه التي ستكون عليها مجتمعاتنا.

في الوقت الحاضر، وفي الغرب، لم يعد لدينا نماذج بديلة عن السوق والديمقراطية. لكن ما الذي سيكون عليه الأمر غداً ؟ وعلى أي شكل ستبدو الديمقراطيات والسوق؟

لا أحد يعلم.

مع الحداثة المفرطة، نفهم أن التاريخ لا نهاية له : كل الرهانات مفتوحة. ليس "نهاية التاريخ"، ولكن قدرة مضاعفة ولا متناهية على فعل التاريخ وتسريعه. قدرة مضاعفة على إنشاء تاريخ غير مكتوب.

مَّن الذي لا يرى القوة الهائلة لتاريخ تحول العلوم التقنية ؟ حتى في إطار السوق، لا يمكن لأحد أن يتخيل الوجه الذي سيكون عليه العمل، والتربية، والحياة اليومية، والعلاقة بين الأنواع إلخ. علينا ألا نخدع أنفسنا : التاريخ في حركة سير دائبة أكثر من أي وقت مضى: كل شيء ينبغي إنتاجه واختراعه وإعادة هيكلته.

عصام : تُقدّم في بعض كتاباتك مرافعة لصالح الرأسمالية مِن خلال تفنيد الرؤية الأحادية التي لا ترى في المجتمع الاستهلاكي الذي أنشأته الرأسمالية في القرن التاسع عشر سوى القبح والفساد. وتتحدث عن وجود بحث عن "الجمال" في الأشياء (الإعلانات مثلاً) وأيضاً في بعض سلوكيات المستهلك. إلى أي مدى يمكن للفن - بالمعنى الحقيقي للمصطلح - أن يتعايش مع السوق ؟

ليبوفتسكي : لقد وُلدت رأسمالية جديدة، "الرأسمالية الفنانة" التي تُدمج - على نطاق واسع جداً - منطق النمط الجمالي، والحلم، والإغراء في مختلف قطاعات العالم الاستهلاكي. صار الإعلان يسعى لأن يكون إبداعياً، وصارت عروض الأزياء المختلفة تبدو مثل استعراض أو أداء فني. صارت هندسة الصورة مزدهرة. لم نُنتج قط من قبل هذا القدر من الأفلام والمسلسلات التلفزيونية والعروض والموسيقى من الأنواع كلها. نحن نعيش في عالم يومي مليء بالصور والموسيقى والحفلات الموسيقية والأفلام والمجلات وواجهات العرض والمتاحف والمعارض الفنية والعروض والمواقع السياحية والحانات العصرية. هذه هي الرأسمالية الفنانة أو الـ"الرأسمالية الجمالية من وجه آخر"، والتي هي نظام يدمج الجمالي في الاقتصادي، ويتضمن بشكل منهجي ترتيب الأسلوب والموضة والمشاعر والترفيه في التطوير والاتصال وتوزيع السلع الاستهلاكية.

لم يعد هناك مجال يفلت من التنميط الفني : صناعات، ثقافات، عمران، هندسة، حانات، فنادق، رياضة، سياحة، موضة؛ تسعى المؤسسات في كل مكان إلى تجييش العواطف من أجل ربح الأسواق. المصممون وفنيو جراحة التجميل يعيدون في كل مكان رسم شكل المواد الصناعية الأساسية، حيث صار عدد منها اكسسوارات موضة. صارت المحلات التجارية والفنادق والحانات والمطاعم موضوعات لتصميم ديكورات مخصصة، وإضفاء جو مسرحي في مجالات الفكرة واللون والإضاءة. تمت إعادة هيكلة المراكز العمرانية، وإضفاء طابع استعراضي على طريقة "ديزني" عليها من أجل الاستهلاك السياحي. المصانع والمستودعات والسجون والأديرة المهجورة حُوِّلت إلى فنادق فخمة أو إلى مراكز فنية. في كل مكان، تثار حساسية المستهلك، وحدس

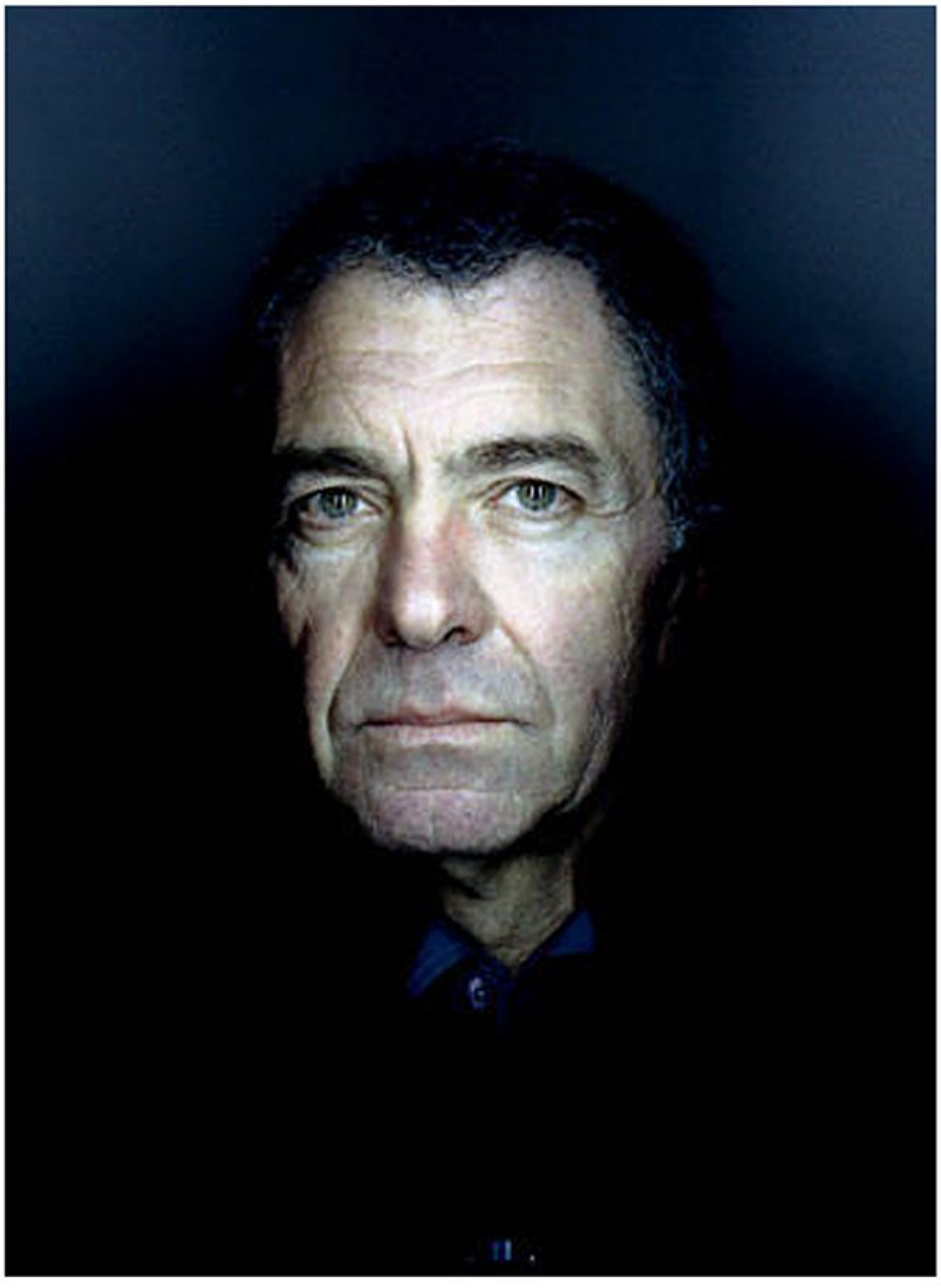

المبدعين والفنانين وإلهامهم، والحس الجمالي العام. وهذا يقطع بشكل جذري مع الصورة التقليدية للرأسمالية "الفوردية" (نسبة لشركة **فورد**) الميكانيكية، العقلانية والحسابية بشكل بحت. لم يعد هذا أوان الفصل بين الإنتاج الصناعي والثقافة الفنية : نحن الآن في اللحظة التي يعمل فيها النظام الاقتصادي على إضفاء الجمال العام على الأسواق الاستهلاكية والبيئة اليومية.

هذا وقت المزج، وإزالة الضوابط التي كانت تميز بين الفن والصناعة، بين فن الطليعة والسوق. يدخل منطق الموضة في كل شيء، بحيث يتم تصميم كل منتج ليصبح قابلاً لأن يعتني هواة الجمع به، وليتجدد بصفة موسمية. ينمو التعاون في العلامات التجارية : تتضاعف السلاسل المحدودة من طرازات السيارات بالتعاون مع ماركات الموضة؛ تقوم الشركات المصنِّعة للمعدات الرياضية بالاستعانة بالمبدعين العصريين، تدعو العلامات الفاخرة الفنانين لتصميم التشكيلات، وعرض الواجهات وإخراج ومضات إعلانية.

تخيلَ **كارل لاغرفيلد** زجاجة مشروب الكوكا. رسَمَ **تاكاشي موراكامي**، **ستيفان سبروس** و**يايوي كوساما** تشكيلات لـ"فويتون". عهدت سووتش بمشروع عدد من النماذج المصنوعة في سلاسل محدودة إلى فنانين مشهورين. دُمج النشاط الفني الفعلي بشكل متزايد في عالم العلامات التجارية، مزعزعاً بذلك التناقضات التقليدية بين الفن الطليعي وعالم الأعمال، بين الفن والموضة.

إن الرأسمالية المعاصرة لا تعني فقط صعود الصناعات الثقافية. إنما تعني أيضاً مكاناً جديداً ومنزلة جديدة للفن في مجتمعاتنا. لقد اختفى المفهوم الرومانسي للفنان الملعون، المنقطع عن النظام الاجتماعي والاقتصادي. على الأقل منذ أن أعلن "**وارهول**":
"أنا فنان تجاري".

لقد تغيرت المعطيات، مؤدية إلى ضبابية في الحدود بين الفن والموضة والإعلانات. لم يعد هذا أوان المجد الخالد، بل أوان البحث عن شهرة إعلامية تضمن البيع والدخول في شبكات الترويج الدولية.

انتهى زمن "**فان جوخ**" واللوحات ذات القيمة بعد وفاة الفنان الذي لم يلق أدنى اعتراف بعبقريته خلال حياته. إن قيمة العمل الفني لا تكمن في مجانية نجاحها الجمالي، بل - أولاً وقبل كل شيء - في سعرها في السوق.

يكمن النجاح في تصنيف الفنان، وهو شيء لا ينفصل عن

عمل الاستعراض والإثارة، عن الترويج الإعلامي، وعن بناء وتبليغ صورة يمكن تمريرها في كتالوجات العرض، والشبكات الدولية للمعارض والمؤسسات الثقافية.

في العصر البطولي للحداثة الطليعية، ما كان يشكّل سمو الفن حقاً هو معارضته للأعراف المؤسساتية، للعادات والقيم الثابتة، ولكل ما هو من خصائص المجتمع البورجوازي والرأسمالي، والذي كان الفنان يراه سيسقط في حمأة الفكر المحافظ والانحطاط والذوق القبيح.

كان الفن - وأراد أن يكون - عَالَماً مختلفاً ومستقلاً، له قوانينه الخاصة، ومعاييره الخاصة، وفي صراع مع عالم المال والتجارة. ولأنه كان محصوراً في الهواة وفي نخبة من المعتنين بجمع التحف الفنية، فقد كان الفن الحديث سوقاً ضيقاً، يتجاهل تقنيات التسويق، ويحتقر النجاح التجاري. يجب الإقرار بأن هذا النظام قد مضى وانقضى.

اليوم، لم يعد عالم الفن"معادياً للعالَم": إنه يشارك بقوة في قوانين النظام الإعلامي والاقتصادي. تتكاثر الأماكن والتظاهرات الفنية في كل مكان: لا يوجد الآن بلد لا يرغب أن يكون له متاحفه ومعارضه ومراكزه للفن الحديث، ومعارضه التجارية الدورية.

في مجال المبيعات العامة، تقدم شركات متعددة الجنسيات حقيقية "كرستيز وسوثبيز" ترويجاً غير مسبوق لسوق مزدهرة. صارت معارض المتاحف نفسها مصممة كمنتجات تجارية : تباع في كل أنحاء العالم، ويجب أن تولّد رقم مبيعات. لم تعد هناك علاقة بالنظام القديم المبني على الإحسان والمكافآت وطلبيات المؤسسات والمعارض الفنية الصغيرة والتجار المستقلين: لقد انتقلنا إلى عصر التسليع المعولم للفن. ما كان يبدو أنه يجب أن يفلت من المنطق التجاري، صار يتماشى بشكل متزايد مع القوانين العامة للعالم التجاري والإعلامي والاستهلاكي.

من هنا جاءت دوامة المبيعات، التي تنتقل من رقم قياسي إلى رقم قياسي آخر. إن الأعمال الفنية التي يتم تقييمها من أجل تفردها وندرتها، تصبح منتجات استثمارية مثل المنتجات التجارية الأخرى.

نحن نعرف المبالغ الفلكية التي وصلت إليها لوحات **فان جوخ**. ولكن الذي يعبر أكثر عن هذا المعطى التجاري الجديد، هو الأعمال الأكثر حداثة التي تقترب في قيمتها من الأعمال العظيمة التي كُرست عبر الزمن، بل إنها تتجاوزها. لم يعد نادراً أن يباع عمل لفنان حديث الوفاة بأثمان تعادل أو تتجاوز أثمان روائع الأساتذة الكلاسيكيين. لقد احتضن السوق عالمَ الفن. مما يفتح لهذا الأخير موارد لم تستكشف من قبل.

عصر الرأسمالية الفنانة هو ذلك الذي يتمثل في الاستعراضات المتحفية المرفوعة إلى مصاف الوجهات السياحية الجماهيرية. من أجل جذب جمهور يتزايد بشكل مطرد، وتشيِّد - في كل مكان في العالم - متاحف جديدة، تتنافس في الضخامة والهندسة المتجددة والصورة

الصادمة. كان المتحف مكاناً للتأمل الخاشع، فصار فضاءً ترفيهياً موجهاً للاستهلاك البصري والمُتَعي hédoniste للجمهور العريض. هنا مرة أخرى، فُقدت الحدود القطعية الحاسمة بين الثقافة الرفيعة وثقافة الموضة، بين الفن والتواصل، بين الفن والاستعراض. وهذه هي اللحظة التي تسعى فيها بعض المتاحف - متحف اللوفر مثلاً - بسياستها للتوسع التجاري، إلى فرض نفسها كعلامة تجارية تُباع وتصدّر للخارج.

عصام : في هذا العصر الجديد لـ"الحداثة المفرطة" الذي تعيشه مجتمعاتنا منذ بضعة عقود، تتفتَّت الهياكل الكبيرة الصلبة (الدين، الدولة ..إلخ) ، ويفرض السوق نفسه كمنظِّم جديد للمجتمعات الحديثة.
هل سيستمر هذا الاتجاه ؟ أم أن المسيرة الظافرة للسوق ستفقد بريقها بفعل الأزمات الاقتصادية، والمشكلات البيئية، وقضايا الأخلاق والهوية؟

ليبوفتسكي : الأزمات التي تعصف بالأسواق المالية ستؤدي حتماً إلى تحولات. لكننا لا نرى - في الوقت الراهن - ما الذي يمكنه أن يوقف استمرارية توسع الرأسمالية المعولمة. لم يبق سوى السوق التنافسي، الذي يفرض نفسه على العالم كنظام اقتصادي واحد. ما الجزء من العالم الذي لا يتبنى إيديولوجية النمو؟ ولا يحلم بالتمتع بالجنات الاصطناعية للعالم الاستهلاكي؟ لا شك أن المشكلات البيئية ستؤدي إلى تعزيز أنماط استهلاك أكثر اعتدالاً، وأقل التِهاماً للطاقة وأقل تدميراً للغلاف الجوي؛ ولكن التسليع الكامل للتجربة، سيتصاعد مع الامتداد على الكوكب كله. إن إدماج إكراهات التنمية المستدامة، لن يكون مقبرة لرأسمالية الاستهلاك المفرط، ولكن أداة لاستمراره الدائم على الكوكب.
من البدهي أن الأزمات الاقتصادية لن تتوقف بأعجوبة. فهل سيعلن هذا نهاية الرأسمالية ؟ لا أعتقد ذلك. ليس ذلك وقت "الانقلابات الكبيرة"[1]، والبدائل الجذرية التي يُفترض أن تقسم التاريخ إلى شطرين. في مواجهة الرأسمالية، لسنا نملك أي حل بديل ذي مصداقية، ولا أي نموذج مضاد شامل. لا مهرب إلا من خلال متابعة المسارات التي حددتها الحداثة عبر اختراعاتها الأساسية الثلاثة : العلوم التقنية، والسوق، والفردانية الديمقراطية. ومع ذلك، فإن اقتصاد السوق ليس حقيقة ثابتة : يجب علينا تنظيمها (وليس إدارتها حسب "الطراز القديم").
ولا شك أنه في مواجهة التحديات العالمية، البيئية والديموغرافية، تُفرض علينا الحاجة المؤكدة إلى نظام إنتاجي يقلل التدفقات المادية وتأثيرها السلبي على البيئة. لكن من الوهم الاعتقاد أن ذلك سيتحقق عبر الركود الاقتصادي والتقليل "الفضلي" (نسبة إلى الفضيلة) للاحتياجات. على عكس ما يؤكده قادة هذه التيارات، فإنه لا توجد حلول أخرى سوى تلك التي ينكرونها: التنمية الاقتصادية، والابتكار العلمي والتقني المدفوعان من طرف السوق. إنها الوسائل العملية الوحيدة القادرة على الاستجابة لتحديات العالم المستقبلي. لا توجد طرق أخرى أفضل من الاستثمار في البحث والتطوير، في حركية "التدمير الخلاق" القادرة وحدها على اختراع نماذج جديدة للإنتاج والاستهلاك. الحلول موجودة: يجب البحث عنها في تطوير الذكاء العلمي والتقني والإبداع

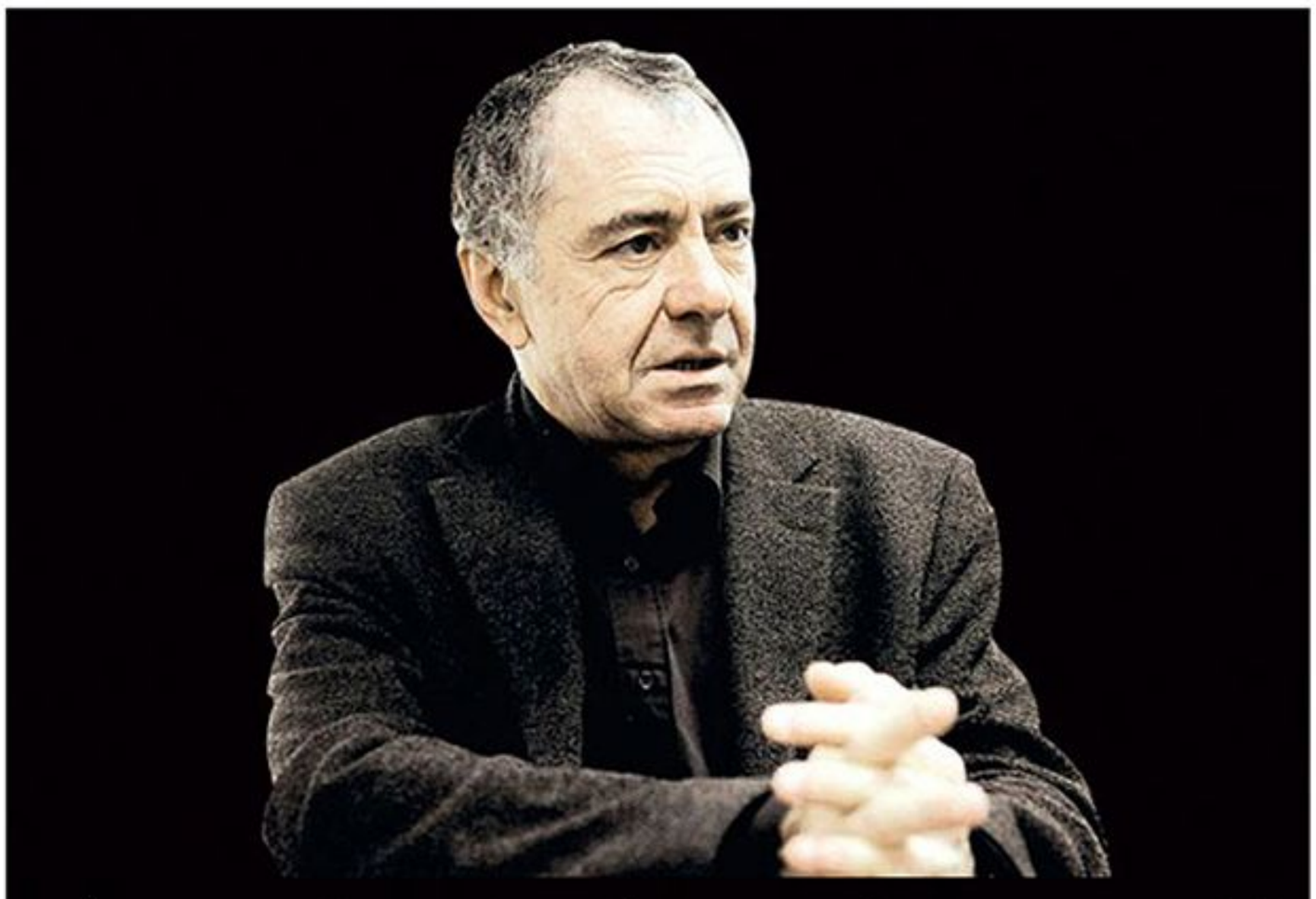

[1] استعمل ليبوفتسكي هنا لفظ "le grand soir" الذي ترجمتُه الحرفية هي "المساء الكبير"، وهو مصطلح ظهر في أواخر القرن 19 في الأوساط السياسية والنقابية، ويشير إلى مفهوم الأمل في انقلاب مفاجئ وجذري للنظام الاجتماعي القائم (البشير عصام).

المقاولاتي. مع أن الأخلاق ضرورية، فإن "الابتكار هو مَن سينقذ العالم". الأخلاق دون ديناميكية اقتصادية تبقى عاجزة عن حل المشكلات العالمية الكبرى التي تبدو في الأفق. من الصحيح أن السوق ليس حقيقة خالدة، ولكن حياته ليست مهددة في الوقت الحاضر: ما يزال في جعبته أوراق يمكنه أن يلعبها.

عصام : بعيداً عن المرجعيات الأخلاقية للقرون السابقة، التي تميزت بالطابع الديني أكثر من غيره، تَخلُق المجتمعاتُ الحديثة قواعدها الأخلاقية الخاصة، ذات الطابع السائل وسريع الزوال، والمتوافقة مع قوانين السوق. إلى أي مدى، يمكن لهذه الأخلاق أن تلبي "الاحتياجات" المتنامية للإنسان، في منظومة من القيم الأخلاقية المنظِّمة للمجتمع؟

ليبوفتسكي : من الصحيح أن الثقافة الفردانية تذيب قوة الإلزام في الأوامر الأخلاقية، وتدمّر التأطيرات التقليدية والدينية القديمة لصالح الـ"أنا أولا"، و"كلٌ يعمل لنفسه"، و"المال السيد". ومن هنا جاءت فكرة نهاية كل الأخلاق، وثقافة دون إيمان ولا قانون، وأفول معنى الواجب. مع ذلك، فإن حركية الفردانية المفرطة لا ترادف الخصخصة دون روح والفراغ الأخلاقي.

يشهد على ذلك : نمو الحياة الجمعوية، والإرادة الإيكولوجية، والعمل التطوعي، والأعمال الخيرية الجماهيرية. لا ينبغي أن يحجب تقديس المال الجانب الآخر من روح العصر : الإجماع

حول حقوق الإنسان، والاندفاع الخيري، والهاجس الأخلاقي في بحوث طب الأحياء، والشركات، والبيئة، والحياة السياسية. بقدر نمو الحق الذاتي في العيش الحر، تَفرض نفسَها اجتماعياً موضوعاتيةُ القيم والمسؤولية الأخلاقية. لكن مع وجود فارق، هو أنها أخلاق غير مؤلمة، "بدون التزام ولا عقاب"، أخلاق عاطفية، ودون جهد.

وهكذا ينتشر الوعي الإيكولوجي دون مبدأ إنكار الذات : فقط المطالبة بجودة أعلى للحياة، والاستهلاك بطريقة أفضل وبشكل مختلف. في كل مكان، يتآلف القلب مع مباهج الاستعراض، والقيم مع المصلحة، وطيبة القلب مع المشاركة المُحَجَّمة، وهاجس المستقبل مع التطلعات الحتمية للحاضر.

إذا كانت الفردانية اللامسؤولة موجودة، فإنه توجد أيضاً فردانية مسؤولة. لم يصبح الجميع مستخِفّين حين يقولون: "أنا وبعدي الطوفان". لسنا في الدرجة الصفر للأخلاق. لم يمت الشعور بالاستياء الأخلاقي، لم يختفِ الإحساس بالخير والشر، يمكن وصف مُثل العدالة بأي شيء إلا بأنها دُفنت. ملايين من البشر ينخرطون في جمعيات من أجل قضايا يرونها عادلة وخيّرة. من كل حدب وصوب، نرى تصاعد دعوات لتخليق الحياة العامة. من كل جانب، يؤكَّد على فكرة أن الضرورة الأولى هي وجود مسؤولين سياسيين "نظيفين" وشرفاء ونزيهين. الفردانية ليست مقبرة الأخلاق : ليست مرادفة للأنانية والاستخفاف والفساد. إنها بلا شك منحَدَرٌ يؤدي لذلك، ولكنها ليست المنحدر الوحيد. يجب رفض فكرة ربط الانحطاط الأخلاقي بالحداثة الفردانية والتجارية.

عصام : ما الذي يمكننا فعله في بلداننا المتخلفة اقتصادياً للإفلات من "الحداثة المفرطة" - إن كان الإفلات منها لا يزال ممكناً؟- ثم، هل من المحبّذ أصلاً السعي إلى هذا الإفلات،

في ظل انعدام بديل آخر، على الأقل على المدى القصير (فتكون "الحداثة المفرطة" إذن: «أسوأ الأنظمة، حين نستبعد من المقارنة جميع الأنظمة الأخرى[2]»!)؟

ليبوفتسكي : نحتاج إلى تغييرات في العمق، إذا أردنا تفادي الأسوأ، وتشكيل مجتمع أكثر انسجاماً مع مُثُل الأنسنة المتعلقة بالسلم المدني، وتقليل الفوارق المجتمعية، وتحقيق إمكانات الأفراد.

هذه المُثل هي التي يجب أن تُلهم جميع الأمم، بما فيها الدول النامية. لا شيء أهم للمستقبل من بناء عالَم يُعترف فيه بالأولوية المركزية لمجال الذكاء والعقل، وبالتالي تكوين البشر.

علينا تعزيز مجتمع تعليمي دائم وشامل.

المراهنة على التربية، تَعني أولاً تعزيز مدرسة طموحة قادرة على رفع الموارد الفكرية، وقدرات التحليل والتفكير لدى الجميع، بمَن في ذلك أبناء الشعب.

لكن الطموح التعليمي الذي يجب أن نتبناه، يتجاوز مجال المكتسبات الأساسية والمعارف التقنية والمهنية.

نحن في حاجة - أكثر من أي وقت مضى - إلى تعليم "شامل"، تندرج فيه العلوم الإنسانية والأدب والتاريخ والثقافة العامة، لأن هذه الأقطاب تشكل موارد ضرورية لقدرة الأفراد على الاستقلالية، والوسيلة اللازمة لعدم التيه وسط هذه الصُّهارة الهائلة من المعلومات المتاحة على شبكة الانترنت، ولإعلاء القدرات الفكرية والنقدية لدى المواطنين.

يجب أن تُطرح التربية – بشكل متساوٍ - كقوة معارضة للهيمنة الغازية للاستهلاك المفرط، وكأداة تفتح الطرق لمجالات جاذبة أخرى ذات صلة بالثقافة والجمال الفني.

يجب أن تَسمح بالقدرة على تذوق أنماط أخرى من الملذات، تلك التي تقدمها الحُجج العقلانية وجماليات الأساليب الفنية والأدبية.

من مهام المدرسة : تعزيز تطوير مناطق الجذب غير تلك التي تمنحها السلع الإعلامية - التجارية سريعة الزوال - في مواجهة تفشي هذه الأخيرة، تتشرف المدرسة بكونها تضع كغاية لها تكوين أفراد مستقلين، قادرين على أن يكونوا منجذبين لأمور أخرى غير الموضة، والأدوات الالكترونية، والمسلسلات التلفزيونية وألعاب الفيديو.

يجب أن تُفهم التربية على أنها مجموعة من الآليات التي تسمح باكتساب المعارف الضرورية لممارسة مهنة معينة. ولكن أيضاً باكتساب التفكير العقلاني والمواطنة.

في مواجهة الإغراء الاستهلاكي المتفشي، علينا خلق سياقات اجتماعية وثقافية كفيلة بتعزيز تطوير أهداف وجودية جديدة.

ما سيجلب الحلول الدائمة ليس هو الدعوات المثالية لـ"الإضافات الروحية".

بل الاستثمار الشامل في التربية والثقافة مع النماذج (الباراديجمات) البيداغوجية الجديدة، القادرة على توليد الرغبات الإبداعية المتنوعة.

وهذا يمر عبر التعبئة الثقافية المصممة كأداة رئيسية تسمح بتطوير أساليب للحياة "أكثر ثراء"، وأقل اختلالاً، وأقل تركيزاً على الاستهلاك.

لسنا بحاجة فقط إلى طاقات جديدة من أجل تنمية مستدامة.

ولكن أيضاً إلى طاقات وجودية جديدة، واقتصاد عقلي جديد، وسياسة ثقافية جديدة في خدمة التنمية الشخصية للأفراد.

---

[2] تضمين لجملة شهيرة لوينستون تشرشل، قال فيها عن الديمقراطية إنها :
"أسوأ طرق الحكم، إذا استثنيت الطرق الأخرى كلها".
Democracy is the worst form of government, except for all the others. (البشير عصام)

إذا كان من الضروري الحفاظ على توازن النظم البيئية، فإنه من الضروري أيضاً مكافحة الاختلالات الوجودية التي تؤدي إليها النزعة الاستهلاكية الشاملة. يجب أن يُعَدَّ الاستثمار الثقافي واحداً من أكبر الإجابات على النمو الاستهلاكي غير الطبيعي. ما سيخلصنا من النزعة الاستهلاكية ذات البعد الواحد، ليس هو المثاليات التجريدية، أو الحملات الأخلاقية، أو عالم إعلامي أكثر "ذكاء"، وإنما الذي سيخلصنا منها هو البؤر الثقافية الحاملة للإثراء الذاتي طويل الأمد.

عصام : بعض المفكرين يتحدثون عن "عالم ما بعد أمريكا"[3]، وآخرون يتحدثون بشكل أعم عن "انحطاط الحضارة اليهودية -النصرانية"[4]. هل ترى أن هنالك انقلاباً في ميزان القوى الحضارية يقع الآن؟

ليبوفتسكي : ليس انحطاط الحضارة اليهودية - النصرانية هو ما يميز عالمنا، ولكن ظهور الحداثة المفرطة السوقية والفردانية والمعولمة.

يقال أحياناً إن الفردانية هي علامة مميزة للغرب. في هذا الكلام عدم انتباه إلى أنه إذا كانت حقوق الانسان بعيدة عن أن تكون المبدأ المنظم للقوانين وللسلطة في كثير من البلدان، فإنها مع ذلك تُرفع كشعار في القارات كلها؛ وإن كان ذلك يتم بشكل غير متكافئ ومع التعرض للقمع، فإنه يتم التعبير عن الحاجة إلى الحرية الفردية والرفاهية في كل مكان، وعن مبدأ حرية التصرف في الذات بالتوازي مع تفتت قبضة أنماط الحياة التقليدية.

من السذاجة الاعتقاد بأن حركية الفردانية، تتوقف عند أبواب الغرب. ففي روسيا المتحولة إلى ديمقراطية غير ليبرالية تنتشر مشاعر الشغف بالموضة والترف، وشهوات الفردانية الاستهلاكية.

الصين - التي لا تستفيد من مؤسسات ديمقراطية ليبرالية - تعرف إطلاق العنان للفردانية التملكية وهيمنة الشركات الحرة.

حتى في الدول التي تسيطر عليها الأصولية الإسلامية، فإن الفردانية في نمو مطرد. ويشهد على ذلك خصوصاً، مؤشرات انخفاض معدل الخصوبة، والتي صارت في دول مثل إيران وتونس، مساوية لما هي عليه في فرنسا. يُجسدُ انخفاضُ نعدل الخصوبة بشكل نموذجي عصرنةَ السلوكيات وأنماط الحياة، وزعزعة علاقات السلطة بين الزوج وزوجته، وتحديد النسل وفقاً للرغبات الفردية. مِن وراءِ مكافحة التغريب الثقافي، يوجد - في العمق - تقدم للنموذج الغربي الفرداني الذي يمس النظام الأسري :

انخفاض أشكال الزواج التي تمليها الأعراف في الأردن ومصر والجزائر.

في لبنان والمغرب العربي، صارت النساء يتزوجن في سن متأخر، أحياناً في سن 28 أو 30 سنة.

يُمارَس الإجهاض على نطاق واسع في كازاخستان وأذربيجان وألبانيا.

حتى الأصوليةُ الدينية الجديدة تبدو كديانة للفرد، ما دامت تعوضُ التدينَ التقليدي بالمبدأ العصري للاختيار والاقتناع الشخصي.

لسنا نشهد عودة إلى طريقة

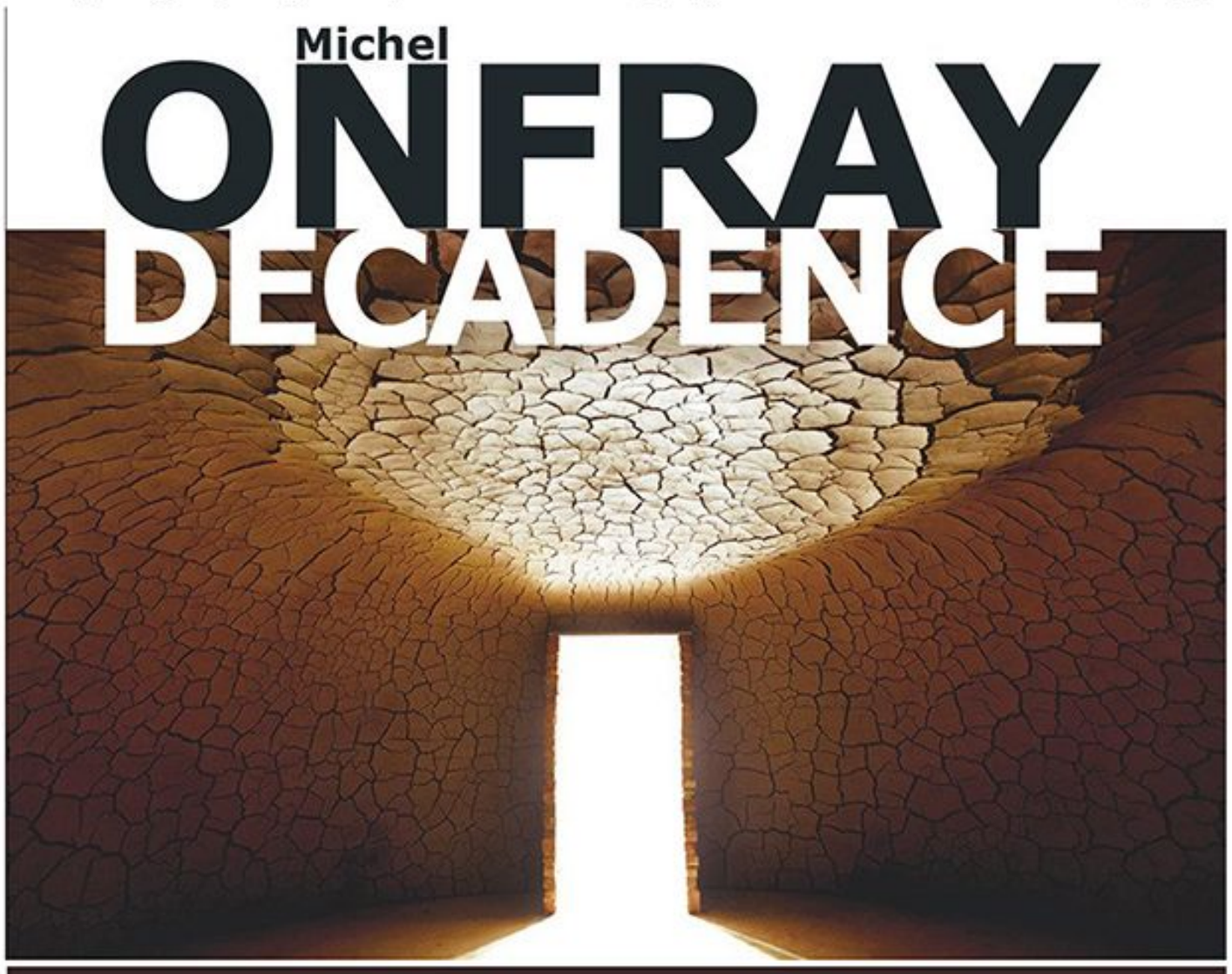

[3] الإشارة إلى كتاب "عالم ما بعد أمريكا The Post-American World" للصحفي الأمريكي فريد زكريا، ومداره على الحديث عن صعود الصين والهند في مقابل الانحطاط الاقتصادي لأمريكا (البشير عصام).

[4] الإشارة إلى كتاب "الانحطاط Décadence" للفيلسوف الفرنسي ميشيل أونفري، وهو لوحة تاريخية تبدأ من زمن المسيح عليه السلام إلى العصر الراهن، تعبر عن معالم انحطاط حضارة الغرب (البشير عصام).

الأسلاف، بل العكس : إلى انتقاد السلطات التقليدية، وإلى فردانية الانتماء، واستعادة التملك الفردي للاعتقادات[5]، ولو كان ذلك في ظل نمط ديني متشدد. وراء العلامات المُعلنة لإعادة أسلمة الثقافة والمجتمع، فإن الثقافة الحديثة للفرد هي التي تتقدم، معيدة تنظيم السلوكيات الأسرية والدينية.

من المؤكد أننا نشهد تحولاً في العالم نحو آسيا، لكن لا ينبغي أن نفسر هذا على أنه "حرب حضارات". ففوق أنه لا توجد مغايرة جذرية بين الثقافات، فإن هذه الأخيرة لا تفتأ تتحول ويعاد تشكيلها من خلال مبادئ الحداثة المفرطة الفردانية والتقنية والتجارية. تحت يقظة القوميات وإعادة التأكيد على الدين، تترتب خطوط قوة عالمية ومشتركة متطابقة في كل الأمكنة. لا يُعلِن هذا عن توحيد العالم، ولا عن نهاية الثقافات الوطنية، ولا عن السلم العالمي، ولكن لا يعلن أيضا عن "حرب الحضارات".

[5] من اللطيف أن يتنبه ليبوفتسكي لهذه "العلمنة من الداخل" التي صار الخطاب الإسلامي متشبعاً بها، في حين ما تزال تخفى على كثير من المتدينين .. (البشير عصام).

عصام : رغم تنامي الأنثوية خلال عدة عقود، فإن اللاتماثل الاجتماعي بين الذكور والإناث ما يزال مستمراً، ولا تزال المرأة مرتبطة بالأدوار العائلية القديمة. هل تعتقد أن نظرية الجندر الجديدة يمكنها تهديد هذا اللاتماثل ووضع أسس تبادل للأدوار كلي بين الجنسين، داخل الأسرة والمجتمع؟

ليبوفتسكي : للمرة الأولى في التاريخ، لم تعد مكانة الأنثى مرتبة مسبقاً ومنسقة من الأول إلى الأخير من طرف النظام الاجتماعي والطبيعي... الذي يتحكم في الوضعية الجديدة للمرأة الآن هو مبدأ عدم التعيين وحرية التحكم الذاتي. ولكن - وخلافاً لما كان يمكن تصوره - تَرافقَ هذا المسارُ التحرري بإعادة تمديد لمجموعة من السمات والوظائف الموروثة من التاريخ، إذ لا تزال النساء مرتبطات أساساً بالأقطاب العاطفية والجمالية والمنزلية. هنالك وهم يسقط : على الرغم من الدفعة القوية للثقافة الديمقراطية، فإننا لم نشهد أي تبادل أدوار فعلي بين الجنسين. تجمع المرأة "مفرطة الحداثة" بين الثورة الحديثة للاستقلال الفرداني واستمرار الموروث التاريخي، بين حركية المساواة واستمرار اللاتماثل الاجتماعي بين الذكور والإناث.

لذلك لا أعتقد أننا نسير نحو مجتمع "أحادي الجنس". هنالك لا شك "إكراهات" ذات طبيعة أنثروبولوجية تقود دون توقف إلى إعادة خلق التمايز، واللاتماثل بين الأنواع. أن يَعرِض المجتمع طموحات المساواة لا يلغي الحاجة إلى تقنين الهويات الجنسية، والتأكيد عليها بطريقة أو بأخرى.

لا يمكن لأي مجتمع أن يفلت من ضرورة ترميز وعرض الهوية الجنسية.

لنعتبر - على سبيل المثال - بظاهرة العلاقة بالجمال، وهي ظاهرة معبرة جداً.

من المفارقات، أنه بسبب تقدم معايير المساواة بين الجنسين، فإن المثل الأعلى اللامتساوي للجمال الأنثوي يتمدد، كأداة للتسجيل الاجتماعي للهوية والاختلاف الجنسي.

كلما قل تكليف النساء بأدوار اجتماعية "ثقيلة"، كلما زادت فرص استمرار الاختلافات في الأدوار "الخفيفة" أو الجمالية. تريد النساء القدرة على التمتع بنفس حقوق الرجال، لكنهن لا يردن مشابهة الرجال.

لا يتعلق الأمر هنا باستمرار نموذج عتيق، بل بمسار منسجم مع الاحتياجات الجديدة للهوية، ومع الحاجة إلى موازنة التحرر "مفرط الحداثة" من الضوابط في الأدوار الجنسية.

ها نحن في اللحظة التي تتصالح فيها ضرورة المساواة مع مطالب الاختلاف :

تشارك النساء حالياً في النشاط المهني أو السياسي دون أدنى تراجع عن الهاجس التقليدي لتقديم الذات.

في هذه الظروف، لا شيء يوقف حركية المبالغة في تقدير الجمال الأنثوي : فدوامة القيم المساواتية لا يمكن أن تجعل التفوق الجمالي لـ"الجنس الثاني" يختفي.

عصام : لم تنجح اللذات المُتَعية للمجتمع العصري المفرط الاستهلاك، في زيادة السعادة ولذة العيش. ما البدائل التي يمكن طرحها لتحسين مستوى سعادة الفرد المعاصر؟ وهل يمكن أن يلعب الدين دوراً في هذا المجال ؟

ليبوفتسكي : يجب علينا تخفيض أسباب المصائب الكبرى (مرض، بطالة، بؤس، حرب).
للدين دور يمكن أن يلعبه، ولكنه بعيد عن الاستجابة لتطلعات سعادة البشر المعاصرين. ليس الدين هو الذي يمنح السلام، والعمل المثري، والخبز.
لهذا علينا تطوير اقتصاديات ديناميكية، وسياسات للتضامن والتعليم المستمر. من الأكيد، أن ذلك لا يمنح السعادة آلياً، ولكن يساهم جزئياً في الأمر، بخلق ظروف مادية مرغوبة من الجميع، ومصادر مختلفة للرفاه والرضا.
لدينا في الوقت نفسه قدرة كثيرة، وقليل من القدرة على تحقيق السعادة. كثيرة، بتنظيم مجتمعات أكثر ازدهاراً، أكثر حرية، وأقل استبداداً. وقليل من القدرة أيضاً، لأننا "نُمنَح" السعادةَ أكثر مما نبنيها إرادياً، إنها ليست نتيجة اقتصاد "جيد" أو عقيدة جيدة، ولكن نتيجة كياننا الخاص، إلى جانب التجارب المُعاشة، والظروف والصدفة. هناك طرق كثيرة تسمح بزيادة السعادة لأكبر عدد، ولكن لا توجد علبة أدوات يستطيع بها كل فرد الاستمتاعَ بالفرح بالوجود.

مع العجز عن معرفة كيفية الوصول إلى سعادة الضمير، فلا أقل من توفير أدوات للناس ليتمكنوا من اكتساب سعادة ظرفية في الحياة وفي الأنشطة "العملية". تبدأ الحكمة عندما ندرك أن عقلنا وأفكارنا الواعية لا يمكن أن توصلنا إلى حيث نتمنى الوصول. دعونا نعمل للوصول إلى السعادة العملية (صحة، عمل، فن، إبداع، رفاه مادي) ما دامت السعادة - في جزء كبير منها - لا تتعلق بالإرادة الفردية. هذه السعادة نعمة، وليست أثر سياسة أو اقتصاد أو أخلاق منهجية أو عمل على الذات المُريدة.

لا شك أن العروض الروحية للنعيم يمكنها مساعدة البشر، لكنها ليست ضماناً للنجاح طالما أن كيمياء السعادة متفردة. لا توجد قاعدة ذهبية: كل واحد يحاول - حسب قدرته - عبر"المحاولات والأخطاء" تصحيحَ مسار وجوده وتخفيفَه، بنتائج سعيدة وأحياناً أقل سعادة. مهما يكن الأمر، فإن تحصيل السعادة أمر غير مؤكد، وهش، وشخصي تماماً : سِرُّه لا يوجد في الاقتصاد ولا الدين ولا الكتب ولا في مكان آخر؛ ببساطة لأنه سر لا وجود له. توجد السعادة - في جزء كبير منها - دوننا، عبر سحر الأشياء؛ وتفارقنا دون أن نتمكن من فعل أي شيء.

كتب مختارة

توزن الثقافة بقدر ما تقرأ وتستوعب.

١- صناعة الجوع

World Hunger

(الجوع العالمي) هو كتاب صدر لأول مرة عام 1977م بعد أن التقى مؤلفاه عام 1975م في (يوم الغذاء القومي الأول) لاهتمامهما بمشكلة الغذاء وامتلاكهما لكتب قبل ذلك في نفس المشكلة، وهما الكاتبة فرنسيس مور لابيه Frances Moore Lappé والمحرر جوزيف كولينز Joseph Collins.

وقد تم ترجمة الكتاب إلى العربية بواسطة أ. أحمد حسان وتم إعادة نشره في 1984م باسم (صناعة الجوع) من سلسلة (عالم المعرفة) الكويتية بعد حذف آخر 4 فصول لعدم التطويل ولتعلقها بالحلول التي قد تختلف من بلد لآخر. مكتفين في ذلك بالإشارة إلى أوجه المشكلة والخطط العالمية التي تقف وراءها والسياسات التي تدير المجاعات والعوز والفقر من الخفاء.

فالكتاب (وخاصة عنوانه : صناعة الجوع) يصور الجوع بالفعل كـ (صناعة) عند بعض البشر يرون فيها التجارة والمكسب.

وقد اكتسب الكتاب شهرة واسعة منذ ظهوره نتيجة تغييره لوجهة نظر أي شخص للأحداث الجارية من حوله في العالم من مجاعات أو فقر .. خاصة المقولات التي تعمل القوى العالمية على تكرارها إعلامياً حتى يحفظها الناس مثل :

الدول الفقيرة لا تمتلك موارد ..

الزيادة السكانية ترتبط بالفقر ..

وغيرها .. حيث بعد ذلك قراءة الكتاب يكتشف القارئ أن قلة من أغنياء ودول العالم يعملون على إفقار غيرهم ليربحوا هم !

ولعل إحدى فوائد الكتاب (دينياً) هو القضاء على فكرة ظلم الله تعالى لأهل بلد دون بلد (وحاشاه)، حيث يصاحب هذا الظن السيء بالله النظر فقط إلى ما يظهره الإعلام دون معرفة ما خلف الشاشات من تلاعب بمقدرات الأمم وثرواتها.

فلا يوجد بلد فقير أو أمة فقيرة في مواردها او غذائها.

ولكن يوجد (صناعة فقر) تقلل من إنتاجية وتنوع بعض البلدان (فنجد أن ما يتم زراعته من الأراضي الزراعية هو 44% فقط) وتقل النسبة فيما يسمونه زوراً (دول العالم الثالث) لتصل إلى 20% فقط. بل ويتم انتزاع خيرات هذه الدول بأرخص الأثمان (سواء غذاء أو مواد خام وغيرها) بعد أن أفقروها لتذهب إلى جيوب القلة المسيطرة في العالم من أشخاص أو حكومات.

ففي عام 1973م وعندما تضررت 40 دولة في العالم من تضخم أسعار الغذاء في ذلك الوقت : كان 36 دولة منها من دول العالم الثالث تصدر غذاءها لأمريكا !

فهذه الدول جعلتها سياسات التجويع تنظر إلى المال أكثر من الغذاء .. حيث أكثرها دول تحمل ذيول الاستعمار الباقية في حكوماتها وأسواقها.

فترى بنجلاديش كمثال كما ذكر الكتاب ورغم امتلاكها لإحدى أكبر الثروات السمكية في العالم : فإن شعبها يعاني الفقر ! ورغم وجود الزراعة للأرز بكثرة إلا أنهم يرخصون سعره في بلادهم ويحيطون المزارعين بالديون من استخدام المواد الكيماوية في الزراعة وغيرها : حتى يضطروهم لتصديره للخارج بأبخس الأثمان بالنسبة للدول الغنية !

وهكذا يمتد التلاعب الأممي بصناعة الجوع ليمس دولاً كبيرة في أوروبا وأمريكا وحتى البنك الدولي.

فلا يوجد دول فقيرة وإنما : يوجد دول يُراد لها أن تكون فقيرة ! وهكذا يتجول الكتاب في عشرات الأمثلة ويكشف عشرات السياسات التي ستغير من نظرتنا للأشياء بالكلية على الساحة العالمية للغذاء أو الفقر أو (دول العالم الثالث).

كذلك يثير الكتاب مشكلة الإدخال غير المدروس للتكنولوجيا في الزراعة ؛ حيث لا يعترض الكاتبان على استخدام التكنولوجيا ولكن يتحدثان عن مردود ذلك على دول تمتلك بالفعل كثرة الأيدي العاملة مما يزيدها من الفقر والبطالة.

ومن النقاط العميقة التي يشير إليها الكتاب أيضاً (وتذكروا أنه صدر في 1977م فما بالنا اليوم ؟!) هو كيف يتم التلاعب بذوي الوعي المحدود من الناس عن الإعلام، وذلك بإكسابهم سلوكيات استهلاكية متجددة ليسوا بحاجة فعلية إليها عن طريق (الإعلانات) وغيرها من طرق الدعاية وبهرجها. بما فيها منتجات قد تضر بصحة الأطفال مثل لبن الأطفال، أيضاً كيف أن ذلك الإعلام يداري خداع (المعونات) الموجهة لتوافه الأشياء في الدول الفقيرة (ترفيه ومهرجانات وغيره) تاركة الأحوج منه وهو الغذاء والعلاج كمثال.

بل وحتى بعض المعونات (الغذائية) لا تجدها إلا فواكه وخضروات ثانوية بعيدة عن الغذاء الأساسي للفقراء !

فكثير من الدول الفقيرة يتم تحديد (نوعية) زراعتها بأصناف محدودة جداً : لتبقى حاجتها مفتوحة دوماً إلى الاستيراد من الخارج لباقي الأصناف، وكذلك ليسهل التلاعب بتلك الأصناف المحدودة كما ذكرنا لإفقارها.

ففي معادلة واضحة تبرز لنا حقيقة أن الدول التي يقل عدد أصناف زراعاتها : هي دول فريسة للفقر ولغيرها.

وفي الكتاب شرح مسهب لذلك وكذلك نفي قوي لأكذوبة شهيرة ربطوها بالدول الفقيرة (التي تقع عادة في وسط أفريقيا) وهي أنها فقيرة لعدم قدرتها إلا على زراعة المحاصيل المدارية. وهو ما أثبت الكاتبان خطأه.

الكتاب المترجم يقع في قرابة 370 صفحة ويتكون من 29 فصلاً سنكتفي بعناوينهم المعبرة كالآتي :

1- بشر أكثر مما يجب، وأرض أقل مما يجب ؟
2- هل البشر عقبة أم مورد؟
3- تحديد النسل وتحديد الثروة
4- ضغط السكان على البيئة
5-رعب الأسعار
6- الغذاء في مقابل ترويج السموم
7- المجاعات والتاريخ
8- الجفاف في الساحل الإفريقي
9- لماذا لا تستطيع الأمم إطعام نفسها
10- ميراث الاستعمار
11- التركيز الضيق على المزيد من إنتاج الغذاء
12- نتائج الثورة الخضراء
13- تقويض أمن العالم الغذائي
14- ميكنة الزراعة
15- إنتاجية المزارع الكبيرة والصغيرة
16- هل الإصلاح الزراعي ضد الإنتاج؟
17- القيام بما يأتي طبيعياً
18- الخاسرون
19- الرابحون
20- تغيير اللعبة
21- العم سام السخي
22- السعي الأمريكي إلى القوة الغذائية
23- شركات الغذاء المتعددة الجنسيات وإطعام الجياع
24- تغيير الوجبات التقليدية
25- فضيحة غذاء الأطفال
26- ثالوث المعونة
27- فخ الديون
28- هجوم البنك الدولي على الفقر
29- قيمة المعونة الغذائية

وفي الختام :

الكتاب من الكتب الهامة لمَن يبحثون عن زيادة وعيهم بمجريات الحياة والدول من حولهم، وهو قادر على جعلك تفكر كثيراً عند شرائك المرة القادمة لمنتج استهلاكي صغير : أن تتجول بفكرك فيما وراءه !

٢- عقول المستقبل

Future Minds

هو كتاب صدر في عام 2010م لـ ريتشارد واتسون Richard Watson وتم تقديمه في (المركز القومي للترجمة) 2016م بمصر (ترجمة محمد عبد الحميد دابوه).

ورغم مرور سنوات على صدور الكتاب - تعد طويلة بمقياس التطور السريع في عالم الهواتف الذكية والحواسيب - إلا أن ما حمله الكتاب من إثارة أفكار ومعطيات للعمل معها لمواكبة التطور الكبير : لا زال له رونقه وجاذبيته وأهمية قراءته.

فالعنوان الفرعي للكتاب جاء ليعبر كثيراً عن موقف الإنسان اليوم من كل ذلك (مقارنة بأجيالنا الماضية في التعليم والعمل والتواصل) حيث يقول :

كيف يغير العصر الرقمي عقولنا ؟

أي : طريقة تفكيرنا وتناولنا للأشياء.

ولماذا نكترث ؟

لتوضيح ما يترتب على التخلف عن ذلك.

وما الذي في وسعنا فعله ؟

وفيه حلول عملية لمَن فاتته البداية أو يريد المواكبة والتطوير.

والكتاب يقع في 3 أجزاء تتعلق بأسئلة العنوان الفرعي الذي ذكرناها الآن، سنذكر عناوينهم ونبذة عن كل منهم كالتالي :

الجزء الأول :

كيف تغير الحقبة الرقمية عقولنا ؟

الفصل 1 - ظهور جيل الشاشة :

يرصد هذا الفصل 10 طرق يفكر بها الأجيال الجديدة التي تغيرت حياتها بناء على دخول الأجهزة الرقمية في تناولها للأمور، وكذلك يستعرض إدمان التواصل المستمر والرغبة الكبيرة في حيازة كل شيء الآن دون تأخير (بضغطة زر)، بل ويذكر تغييراً غريباً وهو زيادة معدل الذكاء في الأجيال الحالية (حتى غير المتعلمين منهم) عن طريق اختبار الذكاء (الذي يعتمد على العلاقات بين رسوم وأشكال وتتاليات منطقية) رغم أن هذه الأجيال الحالية أقل من الأجيال الماضية في القراءة والكتابة والاستيعاب على أرض الواقع لأمور الحياة !

الفصل 2 - سن ما قبل المراهقة تفاحة لكل معلم :

هذا الفصل من أجمل فصول الكتاب حيث يذكر فيه كيف تأثر الأطفال الصغار اليوم بالحياة الإلكترونية، كيف تحول اللعب المفعم بالخيال المفتوح غير المقيد للطفل : إلى التحرك داخل لعبة إلكترونية صممها غيره له، كيف بدأ يتراجع نشاط الأطفال في حل المشاكل نتيجة الخلافات أثناء اللعب : لتزيد نسب العزلة الاجتماعية، كيف يقضي التعليم التفاعلي (الآني) الذي يتجنب الكتب تماماً : على شعور الطفل بالتواصل مع الماضي والمستقبل وعقول غيره الذين ليسوا معه، بل هناك مشكلة أكبر وهي مشكلة النقل السهل لأجزاء محددة بالقص واللصق من الإنترنت، في حين أن القراءة الورقية تتيح نسبة أكبر من الهدوء والتروي والفهم.

جدير بالذكر أن الكاتب يذكر دراسات وإحصاءات كثيرة بين ثنايا الكتاب من الهام جدا الاطلاع عليها، ولعله ليس بجديد ما نقله عن أحد المدرسين من غش أحد الطلبة لبحثه المنقول كما هو من الإنترنت دون حتى إزالة رابط الموقع !

شيء آخر يبرزه الكاتب وهو استنكاره : لماذا نظن دوماً أن من أهدافنا إبعاد الصعوبات والمشاكل كلها من وجه أبنائنا ؟ لماذا نظن أنه من الواجب تقديم كل شيء سهلاً لهم بضغطة زر ؟ وعلى هذا يتحدث عن أهمية المشاكل لتنمية مَلكات العقل والتفكير والإبداع، بل وذكر عدة شركات عالمية تتعمد عرض بعض خططها على (أطفال) للاستفادة من تفتح عقولهم على التفكير والبدائل أكثر من الكبار !

ويذكر سؤالاً لأحد مختصي التربية وهو : لماذا لا نتيح حصصاً لتنمية التفكير والإبداع مثل حصص الكيمياء مثلاً ؟

فالكاتب يتعجب من حاجتنا لطريقة تفكير الأطفال التي تستخرج من الفوضى حلولاً، وكيف قضينا عليها بسعينا لقولبتهم جميعاً في قوالب تعليمية ثابتة ليخرجوا إلى المجتمع في وظائف أيضاً ثابتة لنفتقد بشدة المفكرين والمبدعين.

وهنا يختم المؤلف هذا الفصل بذكر 10 طرق يمكن للنظام التعليمي بها تحفيز العقول الشابة.

الجزء الثاني :

لماذا يثير الاهتمام ؟

الفصل 3 - التفكير حول التفكير

يعد هذا الفصل بداية التفكير الإيجابي في استغلال هذه الثورة الرقمية في عالمنا : لتطويعها لتفكيرنا وإبداعاتنا الخاصة للاستفادة القصوى منها، حيث يبرز فيه الكاتب الفروقات الأساسية بين تفكير الإنسان وبين ما تقوم به الآلات والحواسيب مهما بدا كبيراً.

فنحن نمتلك وعياً ورؤية مستقبلية للأشياء والتفكير الإبداعي، أما الآلات والحواسيب فهي تقوم فقط بما يتم برمجتها عليه، وحتى مسألة اتخاذ القرارات فنحن الذين نقوم ببرمجتها عليها وفق معطيات معينة نحن أيضاً الذين نحددها لها أو نمكنها من التعرف عليها من حولها.

لذلك يمكننا وصف الحواسيب بالغباء على حد قول الكاتب، وليفتح بذلك الباب على مصراعيه للنظر في أكبر ميزة بشرية للعقل وهي رؤية ما ليس موجوداً، رؤية المستقبل.

الفصل 4 - الحياة الجنسية للأفكار

وهو تعبير لطيف من المؤلف يوضح أهمية تلاقح الأفكار معاً للخروج بالأفكار الجديدة، أهمية المشاركة والتباحث والتشاور. أهمية العصف الذهني كما يسميه البعض.

ولنا هنا وقفة .. وهي أن كل خير يأت في مثل هذه الكتب نجد أصلاً له وذكراً في ديننا الإسلام، وقد مرّ معنا منذ قليل أهمية إعطاء الطفل حقه في اللعب لتنمو قدراته الإبداعية والفكرية والذهنية والاجتماعية المرتبط بها، وكذلك نجد في ديننا أهمية الشورى (حتى أن النبي الذي يوحى إليه كان يسأل أصحابه المشورة في بعض المواقف ليُعلمنا) بل وعندما جاء الوعظ المشركين للتفكر فيما أتى به النبي من الحق : أخبرهم أن يتفكروا في ذلك مثنى وفرادى، حيث جمع أفضلية تفكير الرجلين بجانب تفكير الواحد.

أو كما يقول الؤلف بلطف أنه في هذه الحالة (الكم يعني الجودة) بل ويعني الابتعاد عن الأخطاء الغبية التي قد تصدر من بعض المتمكنين عندما يفكر بمفرده. ثم يختم الفصل بـ 10 طرق لتكاثر الأفكار.

الفصل 5 - فضاءات التفكير

يمتليء هذا الفصل الشيق بالكثير من المعلومات عن المكان الأفضل الذي يمكن للإنسان أن يخرج بفكرة جديدة أو حل مشكلة أو إبداع فيه، وقد قام المؤلف نفسه بعمل استطلاعيٍ رأي، الأول كان إرسال 999 رسالة كالآتي : 100 بخط يدوي في مظروف، 300 بخط مطبوع، 500 إيميل، 99 مكالمة، الجميل أن أعلى نسبة استجابة كانت الرسائل بخط اليد ! حيث استجاب 74% ممَن وصلتهم وأعادوا بردود مكتوبة باهتمام، أما الإيميل فـ 5% فقط، والاتصال 5 مكالمات فقط ! وكان تفسير المؤلف خاصة بالنسبة للإيميلات هو غياب الاهتمام وسط بحر من الإيميلات غير الهادفة والتي تجبر الكثيرين على حصر الإيميل للأشياء العاجلة والسريعة.

ثم استطلاع الرأي الثاني عبر مدونته، فكان مجموع الاستجابات 624، ويمكن ترتيبهم كالتالي :

1- عندما يختلي الإنسان بنفسه 2- آخر الليل قبل النوم 3- أثناء الاستحمام 4- أول الصباح 5- في السيارة / القيادة 6- أثناء القراءة 7- في الحمام 8- خارج البيت 9- في أي مكان 10- أثناء الجري.

وبناء على ذلك ومن خبرة الكاتب يختم الفصل بـ 10 طرق لإيجاد أماكن للتفكير العميق.

الجزء الثالث :

ماذا يمكن أن نفعل حيال ذلك ؟

الفصل6 - كيف ننظف مخاً مسدوداً؟

بعدما تعرفنا على أهمية الحصول على (أماكن) للتفكير العميق، ففي هذا الفصل يحاول الكاتب تفعيل ذلك عن طريق اختيار 10 طرق من طرق عديدة وهي : 1- أوجد لنفسك وقتاً للتفكير (فالجلوس من غير نشاط جسدي ليس تضييعاً للوقت إن كان للتفكير) 2- كن مرناً فكرياً 3- احتفظ بمفكرة لكتابة الأفكار 4- احتفظ بعقل متفتح 5- الاستحمام بماء بارد أو منعش (وقريب منه صالة الألعاب) لتحفيزهم للتفكير 6- كن صبوراً (ولا تقلق من فترات الركود)7- تحلل من قيودك (أوقات الانشغال لا تثمر تفكيراً عميقاً غالباً) 8- عانق الفشل 9- المجموعة تفكر أعمق في حل المشاكل 10- خذ إجازة من العمل عند توقفك عن الإبداع.

الفصل 7 - عقول المستقبل

ختاماً للعالم الرقمي فوائده لكن ينصح المؤلف بعدم التماهي مع تسارعه لأن التفكير العميق يحتاج إلى التأني، وكذلك التعلم السريع (الافتراضي) مفيد لكنه يكون ناقصاً مثل الأبوين الافتراضيين.

ذكاء
الملحد
لمياء يوسف الغيث
أخصائية تغذية . مشرفة في مركز ركن الحوار

في كل مرة يحاول الملحد إغاظتي يفتح لي آفاقاً من حيث لا يحتسب، يدعني أتفكّر في أشياء لم أتطرق يوماً للتفكير فيها ولا البحث عنها، بسببهم أستشعر كل مرة قول الله : { **أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ** }.

هناك دراسة جديدة يزعم فيها الملحدون أنهم الأكثر ذكاءً، لاسيما التركيز على ذلك في المقالات العربية التي تكثر وعنوانها (الملحدون هم الأذكياء) لكن : لماذا الملحدون الأذكياء يتركون الدراسات الأخرى التي تحمل عكس ذلك ويعيشون في وهمهم رغم ادعائهم حب المعرفة والبحث المجرد !

وبعيداً عن تلك الدراسات التي تُثبت عكس ذلك والفرق ليس بالهين، أتذكر ما قاله قدوتهم داروين معبراً عن حيرته وانزعاجه من هذه القضية حيث قال : "ينتابني دوماً شكٌ فظيعٌ حول ما إذا كانت قناعات عقل الإنسان والذي بدوره تطور من عقول كائنات أدنى تتمتع بأي قيمة، أو تستحق أدنى ثقة" ![1].

ولا يوجد مثالٌ أفضل من فيلسوف الوعي الأمريكي الملحد توماس نايغل الذي قالها صراحة : "أريد للإلحاد أن يكون صحيحاً، ويزعجني أنه يوجد الكثير من الناس العباقرة المثقفين من المؤمنين"[2].

فقط يريده أن يكون صحيحاً !

ثم يرحب البيولوجيي الملحد ريتشارد دوكينز بالخلاصات الفيزيائية للملحد ستيفن هوكينغ قائلاً :

"رغم أنني لا أعرف شيئاً عن تفاصيل علم الفيزياء، إلا أنني أعتقد بالأمر نفسه".

نعم يعتقد في رأي لا يعرف عنه شيئاً ويعتبره إيماناً صحيحاً، أما الإيمان الفطري الحقيقي بخالق النظام وموجد قوانين الكون فهو عنده الغباء بعينه[3].

لا أفهم حتى هذه اللحظة ما هو الإيمان حقاً باللاشيء !

ولذا يقول الناقد البريطاني الكبير تيري إيغلتون : "ريتشارد دوكينز أحد علماء اللاهوت الإلحادي، يسهب في الحديث عن علم البيولوجيا ومبلغه فيه لا يتجاوز ما ورد في كتاب (الطيور البريطانية)" ![4].

وحين أعود إلى ستيفن هوكينج - الكائن الأذكى المتطور من كائنات أدنى ! - نجده يشكر في كتابه (التصميم العظيم) كل مَن ساهم في كتابه، المصممين والمحررين والمدققين وحتى المحفزين ولسان حاله يقول : "إن للكون تصميماً وكذلك الكتاب، لكن الكتاب - وبخلاف الكون - لا يظهر تلقائياً من العدم، فالكتاب يحتاج إلى خالق" !

وهكذا نجد كتابه الصغير الذي لا يتجاوز 250 صفحة يحتاج لفريق عمل ؛ في حين ينشأ عنده الكون ببساطة من العدم، ينشأ النظام والدقة والقوانين بتفاصيلها وكل شيء : من اللاشيء !

ويجب الإيمان بهذا اللاشيء !

الإيمان بأن المادة الجامدة الميتة قد أنتجت كائناً ذا حياة وإحساس، وأن يكون عامل الزمن قد أبدع من غير قصد كائنات عاقلة، وأن المادة التي لا تفكر قد أنشأت كائناً يفكر !

يقول هوكينج : "الناس إذ تحيا في هذا الكون الهائل الذي يتبدّل حاله بين كون رحيم وكون قاسٍ ويحدِّقون لأعلى للسماوات الشاسعة، فإنهم دوماً يسألون العديد من الأسئلة : كيف يمكننا فهم العالم الذي وجدنا أنفسنا فيه"[5].

ويقول بعدها بعدة صفحات : "ومع أننا تافهون وضئيلون بمقياس الكون، إلا أنَّ هذا يجعلنا بمعنى ما، سادةُ عملية الخلق"[6].

فما نحن والأرض التي تضم البشر جميعاً إلا ذرة مهملة في فضاء الكون الهائل، والبشرية كلها ما هي إلا نوع من أنواع الأحياء الكثيرة على وجه هذه الأرض بلا تمييز، وما الجيل الواحد من الأمة الواحدة إلا صفحة من كتاب ضخم لا يعلم عدد صفحاته أحدٌ منهم.

هذا الجيل عرف أشياء كثيرة لو أدرك أفراده كيف عرفوها وشكروا لكان خيراً لهم.

عرفوا أن أرضهم التي كانوا يظنونها مركز الكون إن هي إلا ذرة صغيرة، وعرفوا أن الشمس كرة صغيرة، يوجد منها في الكون مئات الملايين، وعرفوا طبيعة أرضهم وطبيعة شمسهم وربما طبيعة كونهم إن صح ما عرفوه، عرفوا الكثير عن مادة هذا الكون الذي يعيشون فيه، عرفوا أن أساس بناء هذا الكون هو الذرة، وعرفوا عن الذرة الكثير والكثير، عرفوا الكثير عن كوكبهم الأرضي الصغير، كشفوا عن شيء من باطنه، عرفوا الكثير في جوف هذا الكوكب، عرفوا القوة التي تربط كوكبهم بالكون الكبير، ومنهم مَن اهتدى لمعرفة هذه القوة، ومنهم مَن وقف على ظاهر

>

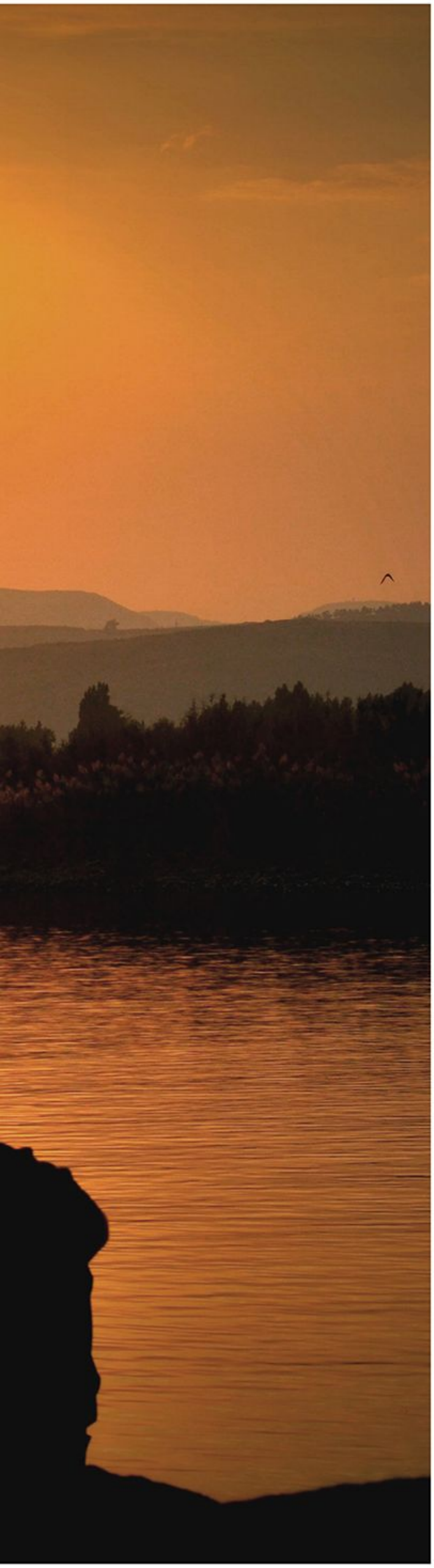

العلم لا يتعداه، العلم الذي يتجه وبشده لمعرفة مادة هذا الإنسان أكثر من اتجاهه نحو عقله وروحه.

فحين ننظر لفولتير كمثال، أول الملحدين والأب الروحي للإلحاد الحديث كما يسميه ويل ديورانت صاحب (قصة الحضارة)، نجده يشرح فلسفته الإلحادية لزملائه، وفي نفس الوقت كان يشرح الأخلاق في إطار الدين لخدامه لخوفه عليهم من الإلحاد !

فيدفعهم إلى الإيمان بالأخلاق في إطار ديني، قائلاً كلمته الشهيرة :

"لو لم يكن هناك إله لخانتني زوجتي وسرقني خادمي" !

بل وقام في أواخر حياته ببناء كنيسة بالقرب من قصره نقش على مدخلها :

"يا رب اذكر عبدك فولتير" !

وادّعى أنها الكنيسة الوحيدة المخصصة لله وحده على هذه الأرض، أما الكنائس الأخرى فهي مخصصة للقديسين، وكان يرسل خدمه إلى الكنيسة بانتظام ويدفع أجور تعليم أبنائهم قواعد الدين.[7]

أتذكر ما قاله روبيرت جاسترو : "يبدو في هذه اللحظة أن العلم لن يستطيع سحب البساط عن غموض الخلق، وأنّ القصة بالنسبة للعالِم الذي عاش بإيمانه بقوة السبب ستنتهي كحلم سيء له، لقد تسلق جبل الإنكار، وهو على وشك بلوغ الذروة العليا، وقد جذب نفسه نحو الصخرة الأخيرة ولكنه تلقّى تحية من علماء الدين الذين يجلسون هناك منذ قرون"[8]

وحين أعود للدراسة التي يحتفون بها ؛ فهم يركزون على زعمهم قدرة الملحدين على فهم ما حولهم بالتأمل والتفكير والتحليل أكثر من المتدينين، بل إن المتدينين لا يهتمون بدراسة الطبيعة من حولهم كما زعم هوكينج : "إننا نعيش لبرهة وجيزة من الزمن، وفي تلك البرهة الوجيزة نستعرض جزءاً صغيراً جداً من الكون، ولكن لحب الاستطلاع فينا فنحن نبحث عن إجابات لأسئلة عديدة".

في ذات الوقت الذي يتجاهل فيه الإلحاد الأسئلة الوجودية الكبرى يقول دوكينز : "إن الغاية من وجودنا مجرد سؤال تافه بلا قيمة".

وتلك القيمة ستأتي فقط حينما يتم حل مشاكلهم ويجدون ثمّة جواب.

وأنا هنا لا أُناقش الحقائق أو النظريات الفيزيائية، وإنما الطريقة التي استخدم بها الفيزيائيون الحقائق والنظريات في إثباتهم لما أثبتوه، أو إنكارهم لما أنكروه مما يتعلق بقضية وجود الخالق.

وكثير من الفيزيائيين يناقشون هذا الأمر على أنهم لا يتكلمون بوصفهم فيزيائيين خُلّص؛ لأن ما يقولونه هو مزيج من حقائق الفيزياء ونظرياتها وما يتعلق بها من تأملاتهم واعتقاداتهم الخاصة حولها.

فالفيزيائي عندما يقحم الإلحاد في العلم فهو لا يتحدث وقتها عن واقع مُشاهد ولا عن لازم عقلي، بل يُعبّر عن وهم توهمه، وإلا لو كان الأمر كما زعم لما بقي على ظهر الأرض مؤمن.

ثم هل يجب فعلاً على كل

إنسان أن يخوض تجربة الشك ويدرس ما يحدث في الكون وآخر ما قاله التطور وأن يعتمد فعلاً على العلم التجريبي الذي يخذله في كل مرة ؟

هل يجب فعلاً أن يخوض صراعات الشك ؟ ماذا عن البسطاء ؟ مَن يبحثون عن لقمة عيشهم فقط ؟ أو حتى أولئك الأغنياء من هم مشغولون بجمع مالهم ألا يحق لهم أن يلجؤوا إلى إله يطمئنون إليه ويرشدهم إلى الصالح من حياتهم ؟ هل يجب على كل إنسان ألّا يؤمن بشيء ؟ ثم لما اللاشيء وكل ما فينا يخبرنا بشيء ؟

وهناك استفهام بحجم الكون ؛ هل الحجر والشجر وفهمهما أهم من فهم البشر من حولنا ؟ فهم طبائعهم واختلاف تفكيرهم؟ فهم الألم والظلم والجبروت وحب الذات والسيطرة ؟ فهم أن العالم لا تدور أحداثه كما تريد أنت ولن تتحقق رغباتك لمجرد أنها رغباتك ؟

ففي نفس الوقت الذي يخبرني فيه الملحد أنني لست محور الكون وما أنا إلا ذرة غبار كوني في كوكب صغير، وأنه من بعيد جداً ستبدو الأرض صغيرة جداً، ضئيلة جداً، تافهة جداً، من بعيد لن يظهر البشر أصلاً، كأنما لا وجود لهم، ولن يبدو على الأرض ما يستحق العناء :

يخبرني في الثانية التي بعدها مباشرة أنه محورها !، وذلك حينما يرى الشيء شراً في عقله الطفولي ويجب أن يتغير لمجرد أنه مقتنعٌ بذلك.

فالقول إنّ وجود الشرور في العالم دليل على عدم وجود إله، هو حل سهلٌ للإشكال، بل شديد السهولة ؛ إذ لا يستغرق من العقل جهداً.

فهنا يرى (ج. ماكي) : أنّ الإله الخيّر مُطلق القدرة، إن وُجد، فعليه ألّا يسمح للشرّ بالوجود، ولذلك فوجود الشرّ يلزم منه منطقياً عنده أن هذا الإله غير موجود.[9]

ثم إن كنّا لا نعرف اليقين إلّا بالشك، فكيف نعرف الخير إن لم يوجد الشر ؟ كيف يمكننا تحديد إن كان ما نعتقده شراً فعلاً ؟ أو هل يجب اخضاعه للعلم التجريبي لمعرفة ما إذا كان شراً محضاً أم لا ؟

ولذا كتب فريمان دايسون : "لماذا نحن هنا ؟ هل للكون هدف ؟ من أين أتت معرفتنا بالخير والشر ؟ إن هذه الألغاز والمئات مثلها بعيدة عن متناول العلم، وتقع على الجانب الآخر من الحدود ضمن سلطان الدين".[10]

وأعجبني جداً ما قاله الأستاذ عرابي في موقع السبيل : "أضف إلى ذلك سيدي الكريم أن الإلحاد لا يقدم تصوُّراً يبين المقصود من "الشر" بوضوح، فهل "الشر" مفهوم مطلق أم نسبي ؟ وهل قيمته ذاتية أم نسبية ؟ وهل وجود الشر طاغٍ على وجود الخير ؟ ثم هل يمكن للشر أن ينفي وجود الإله بحد ذاته ؟

إن كلمتي "الشر والخير" في ذاتهما تدلان على عَرَضٍ خارجيٍّ يدل على نسبة بين شيئين، أي أن الحكم مُنتزَع من حيث التحقق أولاً وارتباط المحيط به ثانياً، فثورة بركان ما شَرٌّ على أهل المنطقة الواقعة بالقرب منه إلا أن فائدته للتربة مثلاً

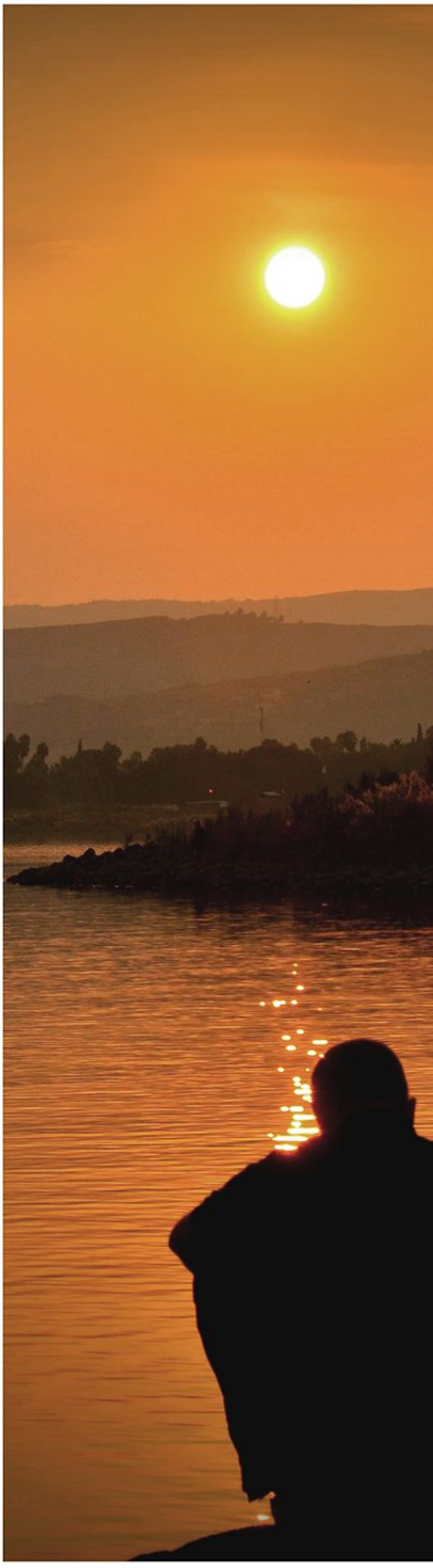

خيـر للأجيـال اللاحقـة، وكذلـك "المـوت".. فـإن فنـاء مليـارات الجراثيـم قـد يكـون شـراً بالنسـبة لهـا إلا أن ذلـك خيـر بالنسـبة للكائنـات التـي تتـأذى منهـا، وكذلـك وجـود السـم فـي الأفعـى، فإنـه خيـر بالنسـبة لها إلا أنـه شـر بالنسـبة لمـن يُلـدَغ بـه، ومـن ثـم فـإن وجـود الشـيء ليـس ذا كفايـة للحكـم علـى قيمتـه مـن حيـث الخير والشر.

وإذا تدبرنـا ذلـك فـإن وجـود هـذه الثنائيـة فـي الكـون بحـد ذاتهـا محـض خيـر، فانتفـاء الخيـر يجعـل مـن الوجـود شـراً محضـاً، وانتفـاء الشـر يجعـل مـن الدنيـا دار سـعادة محضـة، وبذلـك لا يمكـن التوصـل إلـى معانـي التفاضـل والخيريّـة بيـن النـاس أو إدراك المعانـي الكبـرى كالباطـل والحـق، وبذلـك يكـون وجـود الشـر ضروريـاً لتدعيـم معنـى الخيـر، ووجـود الباطـل ضروريـاً لتدعيـم معنى الحق.

ثـم إن الحيـاة كمـا هـي فـي عينـيّ الملحـد، بحلوهـا ومرّهـا، أعظـم إيلامـاً مـن الشـرور فـي عينـيّ المؤمن.

عبّـر الفيلسـوف (أوغسـط أُوت) (Auguste Ott) فـي كتابـه عـن مشـكلة الألـم عـن موقـع الألـم مـن الحيـاة العدميّـة التـي صنعهـا عقـل الملحـد، فقـال : "إذا كان الإلـه مجـرّد اسـمٍ عابـثٍ، إذا كان كلّ شـيء ينتهـي بالنسـبة لنـا بالمـوت، إذا كان كلّ أمـلٍ فـي وجـود أفضـل هـو وهـم، فلنـا أن نتسـاءل إن كانـت الحيـاة تسـتحق أن نعيشـها ؟ نحـن نتحـدّث عـن التطـوّر، ونرغـب فـي ازدهـار مسـتمر لشـؤون الإنسـان، وتكيفـاً كامـلاً بيـن المَلـكات الإنسـانيّة وطبيعـة العالـم الخارجـي، ولكـن هـل لهـذه الآمـال البعيـدة، وربّمـا المضلّـة، أن تعـوّض الآلام الحاضـرة ؟ وحتّـى لـو تحقّقـت، فهـل ثمراتهـا الموعودة تدوم أكثر من لحظة"[11]

وأخيراً ..

إن كان الكـون يحكمـه القانـون فلعجلـة الكـون قانونهـا أيضـاً، فهـي تـدور بطريقتهـا وبسـرعتها ولوجهتها وتديـر الكـون كلـه معهـا، ثـم مـاذا إن أرادوا أن تسـرع أو أن تبطـئ مـن بيـن هـذا الموكـب الضخـم الهائـل حيـن تنفـك العجلـة وتنحـرف عـن خـط السـير مـن قلق واستعجال وأنانية وطمع ؟

حيـن تنفـك سـنظل نشـرد هنـا وهنـاك والموكـب مـاضٍ ونحتـك بهـذا التـرس وذاك ونتألـم ونصطـدم هنـا وهنـاك ونتحطـم، والعجلـة ماضيـة فـي سـرعتها وطريقتهـا إلـى وجهتهـا وتذهـب تلـك القـوى سـدى، أمـا حيـن تؤمـن قلوبنـا حقـاً وتستسـلم للـه حقـاً وتتصـل بـروح الوجـود حقـاً، فإننـا نعـرف دورنـا علـى حقيقتـه، وننسـق خطانـا وخطـوات القـدر ونتحـرك فـي اللحظـة المناسـبة بالسـرعة المناسـبة، وفـي المـدى المناسب.

نتحـرك بقـوة الوجـود كلـه مسـتمدة مـن خالـق الوجـود ونصنـع أعمـالًا عظيمـة فعـلًا، دون أن يدركنـا الغـرور لأننـا نعـرف مصـدر القـوة التـي صنعنـا بهـا هـذه الأعمـال العظيمـة، ونوقـن أنهـا ليسـت قوتنـا الذاتيـة إنمـا هـي كانـت هكـذا لأنهـا متصلـة بالقوة العظمى.

ويـا للسـلام الـذي يفيـض فـي أرواحنـا ونحـن نعيـش فـي كـون صديـق، كلـه مستسـلم لربـه، ونحن معه مستسلمون.

المراجع

Darwin Correspondence Project [1]
https://www.darwinproject.ac
Nagel, Thomas, The Last Word, [2]
pp. 130–131
[3] الأطفال يولدون مؤمنين بالله:
http://www.telegraph.co.uk/news/religion/3512686/Children-are-born-believers-in-God-academic-claims.html
Terry Eagleton, lunging, [4]
flailing, and Mispunching,
,(2006) Vol.28, No.20
[5] الصفحة (13) التصميم العظيم
[6] المرجع السابق صفحة (19)
[7] ويـل ديورانـت قصـة الحضـارة المجلد 38 الصفحة (214)
[8] جاسـترو، روبـرت. (1992). اللـه والفلكييـن god and the Astronomers . مكتبـة القـراء، الصفحة (107)
J. Mackie, “Evil and [9]
Omnipotence,” p. 201
[10] Freeman Dyson. فريمـان دايسـون (2000) التقـدم في الدين حديث فريمان دايسون progress in religion : A talk by Freeman Dyson
A. Ott. Le problème du [11]
mal (Paris: Fischbacher, 1888),
pp.5-6

يقول الفيزيائي الشهير ماكس بلانك مؤسس نظرية الكمّ والحاصل على جائزة نوبل 1918م :

"لا يُمكن أن يُوجد أبدًا أي تعارض حقيقي بين الدين والعِلم، بل كل مِنهما مُكملٌ للآخر، وأعتقد أن أي شخص جاد وصادق يُدرك ذلك، وهذا لأن العنصر الإيماني في طبيعته سيظهر حتمًا إذا تكاتفت كل قوى نفسه وتكاملت معًا بكل اتزان وتناسق، وفي الحقيقة لا يُعد مِن الصدفة أن أعظم المفكرين في كل العصور كانوا نفوسًا ذات إيمانٍ عميق"

Planck, Max Karl Ernst Ludwig. (1932).Where is Science Going? (p. 168). New York, NY: W. W. Norton & Company, Inc

@MahaAlsogeri

شخصية العدد

لا زلنا مع الرواد الشباب لمبادرات التعريف بالكتب ونشر القراءة الجماعية خاصة على وسائل التواصل.
واليوم نتشرف باستعراض أحد هذه القدوات اللامعة لنتعرف أكثر على مسيرتها وإنجازاتها إلى الآن.

أهلاً بك أستاذة مها.

أهلاً وسهلاً بصُنّاع الفكرِ وساسته، من أخذوا على عاتقهم حمل العقول من الظلمةِ إلى صباحات الهُدى الوضّاءةِ، رفع الله قدركم وإني لسعيدةٌ بهذه الفرصة التي انتهزها لإيصال بعض رسالتي في هذه الحياة، متمنّيةً للقارئ الكريم طيب المُقامِ وفائدته.

في البداية نود الاطلاع على بطاقة تعريفية بسيطة عن الأسرة والنشأة ؟

الاسم كاملاً : **مها بنت صالح الصقيري**، من مواليد عام 1410هـ في مدينة بريدة في منطقة القصيم بالمملكة العربية السعودية.
ترعرعت ونهلت من معين القيم الإيجابية مع أسرة أرجع لها الفضل بعد الله في صناعة مستقبلي.

ماذا عن التعليم ؟ وهل بدأت اهتماماتك الخاصة أثنائه أم بعده ؟

أمضيتُ سنوات تعليمي العام بمستوى تحصيلي متفوق بعض الشيء، ثم التحقت بجامعة القصيم في تخصص الرياضيات، وفيه حصلت على درجة البكالوريوس عام 1434هـ.
تنقّلت بين بعض الأعمال الاجتماعية والتعليمية في بعض الجمعيات والمراكز والجامعات.
ثم تيسّر لي إكمال دراستي العليا في التربية تخصص التوجيه والإرشاد التربوي في جامعة الملك عبد العزيز، وفي عامين حصلت على درجة الماجستير عام 1438هـ، دراسةً متزامنةً مع نشاطاتي في التدريب وقيادة وعضوية بعض المبادرات التطوعية.
ثم عملت معلمة للمرحلة الابتدائية في مدارس نور الرسالة في العام الماضي، وها أنا متفرغة لاستكمال بعض المشاريع الذاتية والمجتمعية في مجالات التطوع والقراءة والبحث والدراسة.

ما رسالتك التي تسعين لها ؟

بعد توفيق الله ومنّه وكرمه تتمحوّر رسالتي في هذه الحياة في السعي لإثبات أن القراءة مفتاح النجاح على كافة الصُعُد، وهي السبيل الأقصر للاستقرار النفسي والرضا الذاتي، ومعها ستنجو الأم وطفلها، ويتميز المعلم وطلابه، ويحقق الشاب ذاته، وذلك من خلال تصميم برامج مُحفّزة لإتمام خطط قرائية، وتقريب الممكن والتدريب على بعض المهارات القرائية.

كيف بدأ الاهتمام بالقراءة في حياتك ؟

قد يتأخر الإنسان في سلوك طريق النور أو الموصل إلى النور، لكن قد يكون وصوله متأخراً خيراً قد كتبه الله له.
رسالتي الأولى في هذه الحياة (اقرأ) لم أتمثلها إلا في آخر سنوات الدراسة الجامعية، إذ قُدّر لي التأخر في التخرج عن زميلاتي مما تسبب في وجود

وقت فراغ لديّ مع عدم وجود صحبة تشغل الوقت، ما جعلني أُجرّب مصاحبة الكتاب ولأول مرّة، ومن تلك اللحظات صار تعلّقي بالكتب والقراءة يزيد وينمو يوماً بعد يوم، إلى أن ظهرت أمامي بدايات مجموعة تسعى لإطلاق مشروع يهتم بنشر ثقافة القراءة على منصة "تويتر" ومعهم كان تأسيس نادي (كتابي) غرّة رمضان من عام 1434هـ.

@ketabei

ثم توالت البرامج وتوسّعت أهداف النادي ومبادراته حتى شمل كل فئات المجتمع كباراً وصغاراً في (القراءة الجماعية) والذي نقرأ فيه كتاباً أسبوعياً بالإضافة لبعض البرامج الثقافية المساندة والتحديات القرائية المُحفّزة.

وقد بلغ اليوم عدد المتابعين لحساب نادي (كتابي) على "تويتر" أكثر من 187 ألف متابع.

@readingsa

في حين بلغ عدد المتابعين لحساب (القراءة الجماعية) على "تويتر" أكثر من 254 ألف متابع.

وكيف ظهرت المبادرات التالية لذلك ؟ وددنا لو تعطينا نظرة سريعة عليها.

أطلقنا بعد ذلك مبادرة (طفلي يقرأ) والتي نسعى من خلالها لصناعة جيل قارئ يُلازم الكتب ويرافقها. وذلك من خلال توجيه المربين لبعض الأساليب التربوية المعينة والكتب المناسبة وإقامة تحديات قرائية للأطفال.

@childreads

وما زلنا في سعي حثيث ومحاولة للنمو المستمر بعونٍ من الله ضمن فريق عمل متميّز شغوف عاشق للكتاب، يرجو من الله أن يُوفّق لتحقيق أول أمر رباني :

{**اقرأ باسم ربك الذي خلق**}.

وقد بلغ عدد متابعي حساب (طفلي يقرأ) أكثر من 138 ألف متابع بفضل الله.

كما شاركت في عضوية مؤسسة (يمام للقراءة) وتفعيل بعض برامجها.

@YmamRead

وقد ظهر انتمائي للفكرة من خلال عرضي لبعض الملخصات لكتب أقرأها على حسابي الشخصي في "تويتر"، وهو ما كان يدفعني للاستمرارية، وما نتج عنه أيضاً ثقة بعض المتابعين مثل: انضمامي للجنة المُحكمين للنصوص الروائية في (دار رواية)، وكذلك عضوية اللجنة الاستشارية في (مجلة أثر) التابعة لـ (نادي القراءة بجامعة الملك عبد العزيز).

ألم يشكل ذلك عبئاً أكثر عليك أو مسؤولية قد تعيق البغض عن مزيد من النشاطات ؟

بالعكس.. لقد استوجب مني هذا التكليف تطوير بعض نشاطاتي وجعلها أقرب لتحقيق طموحات المتلقّين.
وقد تمثل ذلك من خلال إطلاق نادي قراءة إلكتروني باسم (نادي تَجْوال) بداية هذا العام 1440هـ ، وكذلك في تطوير حقائب تدريبية تختص بالقراءة ومهاراتها وعاداتها.

كما أسهمت هذه الرحلة القرائية الخاصة في تعميق الانتماء الروحي لديّ، وهو ما أسفر عن مشروع بحثي لنيل درجة الماجستير، حيث درست من خلاله العلاقة بين كل من :
القراءة الحرة .. وجودة الحياة والرضا عنها وشعور القارئ بالاستقرار، والذي أعتقد أنني قد وفّقت فيه للربط بين موضوع القراءة وموضوعات علم النفس، ولدي أبحاث قادمة متعلقة بالقراءة وأندية القراءة ومتعلّقاتها التربوية والنفسية، مُحاولةً بذلك دمج تخصصي في التربية والإرشاد مع شغفي بالقراءة .

ولعلّ حضوري في هذه المجلّة المباركة فرصةٌ للتبشير بمشروع قراءة يستهدف فتيات مدينتي "بريدة" بالتعاون مع أحد المراكز النسائية والذي أرجو من الله أن يوفقني فيه لنيل رضاه والمساهمة في تحقيق أمره الأول: {اقرأ}.

هل هناك نشاطات تربوية أخرى غير أكاديمية ؟

نعم.. لديّ بعض الاهتمامات التربوية عبر حساب (إرشادات تربوية) على "تويتر".

إرشادات تربوية

وكذلك عضوية مختصّة في مبادرة (طفلي ثروتي). والتي تستهدف الأم وتوعيتها لبعض الأساليب التربوية المساندة من خلال لقاء شهري وبرامج مستمرة في مجموعات في برامج التواصل الاجتماعي.

طفلي ثروتي

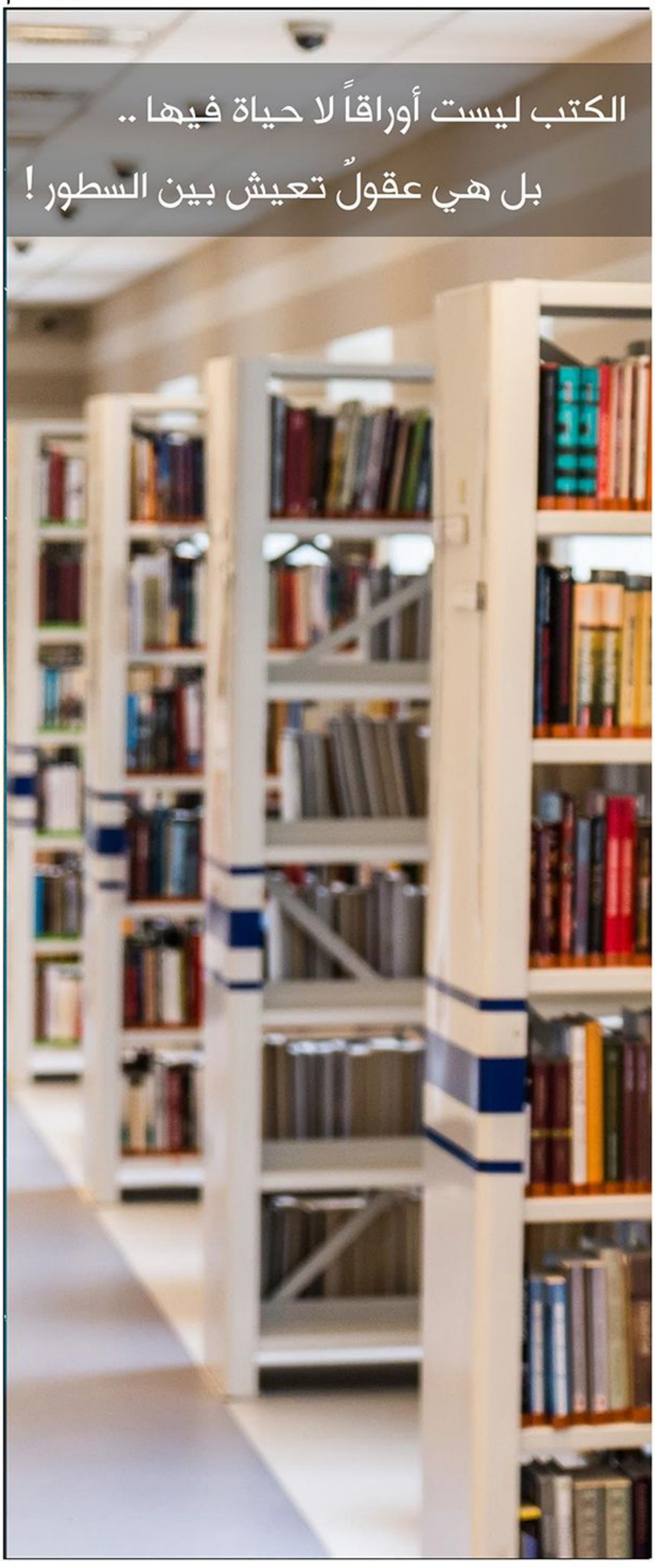

على هذا يمكننا القول بأن وسائل التواصل الاجتماعي بالنسبة إليك كانت وسائل ارتقاء بعكس ما قد يرى البعض فيها وسائل هدم وإلهاء ؟

أزعم أن بيئة التواصل الاجتماعي الافتراضي هي نعمة عظيمة يسّرت لنا الكثير .. ومهّدت الطريق لتحقيق الغايات .. فلله الحمد والفضل والمنة.

يكفي أننا استطعنا من خلالها تصميم بيئة داعمة في مجال القراءة ينطوي تحت مظلّتها مئات الآلاف من المستفيدين، وهذه من النعم التي نتفرّد بها عن أسلافنا.

فالرسالة اليوم باتت سريعة الوصول للمتلقي، وعلينا أن نجتهد كثيراً في رسائلنا، ونحاول أن نجعلها مواكبة لعصر المستفيدين.

وكذلك طوّرت من مهاراتنا نحن وزادت من مستوى تحصيلنا وقرّبتنا من البعيد وقرّبته منّا فلله الحمد كثيرًا .

في نهاية الحوار نتوجه بالشكر للأستاذة مها لإتاحة هذه الفرصة لمتابعينا للتعرف على نموذج يسعد به كل مؤمل لشباب هذا الجيل. فهل من كلمة أخيرة تختمين بها هذا اللقاء ؟

أقول الحمد لله الذي تفضّل عليّ بـ (اقرأ) وجعلني من أمةِ (اقرأ). والشكر لكل مَن يشد على يديّ لتحقيق هذه الأهداف أعضاء نادي كتابي المبدعين، وكل زميلة تثري فكري في محيط العمل وغيره، ثم الشكر لكم على حسن تواصلكم وسعيكم الدائم لتبصير العقول.

رؤئ مؤسسي الصناعة السعودية لتفعيل رؤية (٢٠٣٠)

د. فضة العنزي

قسم العلوم الإنسانية . جامعة الملك سعود بن عبد العزيز للعلوم الصحية . الرياض

ابتداءً لا أخفيكم استعارة بداية عنوان المقال من عنوان محاضرة للناقد الأدبي والفني "السيموطيقي" ذو الجنسية الإيطالية "إمبرتو إيكو"، والذي أقرأ عنه لما ترجم له من كتب إلى العربية خلال بحثي المتواصل في مناهج الهرمونطيقا ونظريات التفسير والتأويل، هذا الناقد المهتم كثيراً بتقنيات وثورة الصناعة والاتصالات المعاصرة ومحاضرته التي ألقاها في بلد عربي كبير هو "أم الدنيا" بحق ؛ في مصر، وذلك حين قام بزيارة إلى مكتبة الإسكندرية عام 2003، هذا الرجل الذي يعرفه نقاد الأدب في العالم كله وعشاق الروايات على وجه التحديد، فكما هو واضح من عنوان المحاضرة التي استهل زيارة مكتبة الإسكندرية بها أنه يقصد نقلة صناعية من نوعها، وهي نقلة الكتاب الورقي إلى الكتاب الإلكتروني، والذي من أنواعه الصناعية القرص المدمج.

هذه النظرة التي أدرك بها ضيف الإسكندرية أهمية التفرقة بين ثلاثة أنواع من تسجيل الذاكرة : **الذاكرة العضوية** المكونة من لحم ودم، حيث مركز التحكم والإدارة فيها هو "المخ".
الذاكرة النباتية التي تمثلت في البرديات الأولى من الورق والتي تطورت إلى أن وصلت إلى الكتاب الورقي.
الذاكرة الصناعية المعدنية التي تبدأ من ألواح الطين وحجارة أعمدة المسلات، وتنتهي إلى الرقائق الإلكترونية في ذاكرة الحاسوب الآلي والتي تعتمد في صناعتها على السيليكون.
وليس بعيداً عن تساؤلات العقل بعد محاضرة "إيكو" في جعله يطرح فرضياته المتسائلة عن مصير الكتاب الورقي الذي كان يملأ المكتبات النباتية بالأمس -على حد عنوان إيكو- إلى بشارات العقل الصناعي الذي ارتفع بالحرفة الصناعية إلى سقف المعرفة، والتي تدفعه إلى السيطرة على الكون العولمي المعلوماتي عن طريق قوة المعرفة التي وهبها الله لهذا الإنسان المدرك، والتي تجعله يكتسح الكون بثورة المعرفة الصناعية، وذلك في صعود نحو ردم الفجوة بين المعرفة النظرية والصناعية، والتي تتجه العلاقة بينهما نحو التكامل والتعاون والتشابك والتقاطع من غير أن يلغي أحدهما الأخر إلغاءً تاماً، بل علاقة التعاون والتكامل والمساندة والانطلاق، وهو ما يعنى التأكيد على الحقيقة التي يعلنها لنا تاريخ الثقافة المعرفية، حيث لم يحدث أن قام شيءٌ بالقضاء التام على شيءٍ أخر، وإنما يضيف إليه، ويفتح آفاقاً لم تكن موجودة من قبل رغماً عن التحديات التي تواجه هذه الثقافة ؛ والتي تولد بطبيعة الحال سبل مواجهتها.

وهكذا جاءت هذه المقدمة لعنوان محاضرة "إمبرتو إيكو" وكأنها رؤيا صناعية نقلتنا من الذاكرة النباتية إلى الذاكرة المعدنية، والتي كان نموذجها التطبيقي هو "الكتاب" ليصف مستقبل الكتاب من منظور صناعي، وذلك ربما لإدراكه ما تحتاجه الشعوب العربية لتزدهر صناعياً كما ازدهرت معرفياً -بحسب ما أظن-.

ونجدنا اليوم في وطننا الغالي على أعتاب رؤية ذات محاور كبيرة عظيمة واعية نحو بديل يضمن - بحول الله وقوته - المساهمة في الازدهار المعرفي والصناعي في آن واحد، كبديل للبترول، تساهم في تحقيق رؤيته قطاعات مهمة على رأسها الجامعات ذات المناهج المتعددة والأهداف والرؤية المستقبلية لكل منها، هذه الجامعات التي هبت سريعاً لتعقد الندوات والمؤتمرات.
ولعل من أقربها مؤتمر "دور الجامعات السعودية في تفعيل رؤية "2030" المقام في بعض الجامعات.
هذه الجامعات التي أصبحت بعد إعلان الرؤية تؤكد في مخرجاتها على مجال "التدريب الصناعي" الذي يحترف المهن الحرفية الشريفة، والتي سوف تساهم في القضاء على البطالة -بلا شك -.

ومما يمكن قوله للتاريخ فقط: إن هذه خطوات جديدة لرؤيا قديمة قبل 2006 تقريباً استلهمها وأدركها أصحاب الخبرة والاختصاص، والملهمون ممَن قامت تنمية الوطن وازدهاره بعد الله على أياديهم في كل المجالات، ومنها المجال التنموي الصناعي، من أمثال نماذجنا السعودية المسلمة المتواضعة الطموحة ذات الخلق الكريم والوطنية العالية، ممَن أعلنوا عن وجوب (تغيير مناهج التدريس في الجامعات السعودية -مع اعتزازهم بها وتقديرهم لها- وما تخرجه من تخصصات نظرية موضحين حاجتنا اليوم إلى حرف ومهن يتعلمها ويتدرب عليها شبابنا).

داعين إلى ردم الفجوة، وسد الهوة بين مخرجات هذه الجامعات ومتطلبات سوق العمل وربط هذا كله بما يخدم المجتمع.

ويدعون إلى التفاعل الإيجابي بتعزيز روح المبادرة والتأكيد على شرفية المهن الصناعية الحرفية التدريبية، متسائلين : لماذا العزوف عن الحدادة والنجارة...؟ قائلين : "هذه ليست عيباً. هي خيرٌ من البطالة".

وفي رؤيتهم الصناعية الموجهة إلى الجامعات السعودية والمكللة بكل الدعوات : "أن يهدي الله الشباب السعودي الطموح ويتقبل فكرة التوجيه والتدريب".

مؤكدين على أهمية الانطلاق من ذوات الشباب أنفسهم في تعزيز فكرة الطموح والصبر، موجهين إلى ضرورة التكاتف المجتمعي من جامعات ورجال أعمال ودولة في دعم وتشجيع هؤلاء الشباب الذين بسواعدهم تجسد أفكارهم النيرة ؛ فيرتقي ويسمو الوطن ليحقق هذه الرؤية.

والتي لا ننكر لحظة أنها اليوم هي جزء لا يتجزأ من رؤية "2030" الطموحة والتي كان من محاورها (اقتصاد مزدهر، بجانب مجتمع واعي ووطن طموح).

والتي كانت بصيرة المخلصين من أبناء الوطن الذين ساهموا بكل ما أوتوا من قوة فكرية وبدنية في بنائه ممَن لمحوا الجانب الصناعي من هذه الرؤية مبكراً وإن غابت عيونهم عن الدنيا، فقد وصلت أفكارهم إلى منصات التطبيق على أرض الواقع وإن توارى جثمانهم تحت الثرى.

مدركين وبعمق أن الصناعة هي حضارة خارجية، وأن الثقافة والمعرفة هي البنية التحتية لهذا الرقي الحضاري الذي من صوره النهضة الصناعية، والتي تؤدي إلى رفع كفاءات ومخرجات التعليم وتأهيل الطلاب علمياً، وثقافياً، وفنياً، وحرفياً، وتدريبياً، وتعزيز مبدأ الإيجابية، وأخلاقيات المهنة من إخلاص وأمانة، وصبر، ومثابرة ليتمكنوا من تلبية متطلبات قطاعات العمل ؛ حكومي وخاص، وبذلك تكون الجامعات خطت خطوة جلية نحو الارتقاء بالمجتمع ليؤدي دوره في تنمية الوطن بالشكل المتزن بسواعد أبنائه المفكرين والمحترفين.

ولتجعل في نفس كل فرد مثقف رؤية ثاقبة مبعثها الضمير المخلص الذي ينشد رفعة ورقي وطن يستشعر مركزه وثقله الديني والثقافي في قلب العالم كله.

عن المقدام رضي الله عنه، عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال : "ما أكلَ
أحدٌ طعاماً قط خيراً مِن أن يأكل مِن
عمل يده، وإن نبيَّ اللهِ داودَ عليه
السلام كان يأكل مِن عمل يده ".
صحيح البخاري . باب كسب الرجل وعمله بيده

علم الأعصاب المعرفي

رضا زيدان
باحث في فلسفة اللغة والعقل
وعلوم الحديث والترجمة

دراسات

لقد أشعل التنوير الأوروبي عملية تحول ثقافي اجتماعي كبير، وهذه العملية "يمكن تعريفها بدقة بالنزعة الثلاثية: الفردية، والعلمانية، والعِلموية"[1] إذ الحال أنه لا يمكن فصل تلك العناصر عن بعضها، فإعلاء الحقوق الفردية أو الحرية القيمية للفرد يُضعف إلى حد كبير جداً القيم الأساسية في المجتمع (الدينية والثقافية[2]) إذا لم يشجع على الخروج عليها. وهذا يدفع إلى البحث عن أساس تشريعي جديد يحل محل القيم الدينية والثقافية القديمة، وبالطبع كانت العلمانية.

ونتيجة لذلك "حلت مفاهيم عقلانية وعلمية المفاهيم الدينية في العالَم الاجتماعي"[3].

والتمجيد الشديد للمفاهيم العلمية هو العِلموية. إن الملمح الرئيس للفلسفة الحديثة هو "العزم على تأسيس العلم".

فالفلاسفة المُحدثون "عِلميون في موقفهم العادي، في مقابل الميول الاستاطيقية التي تتكرر بكثرة عند الفلاسفة القدماء، والاهتمامات اللاهوتية المسيطرة عند المدرسيين في العصور الوسطى... وفي مقابل كل من الفلسفة القديمة وفلسفة العصور الوسطى نجد أن الفيلسوف الحديث عِلمي في نظرته، فالقيم لا تشهد بالضرورة على صدق الوقائع الممكنة، ولم يعد اللاهوت يضع حدوداً لتفكير الفيلسوف، ولا يملي النتائج التي ينبغي عليه أن يصل إليها"[4]

وفي هذا المقال سأتحدث عن أحد المشاريع العِلموية في عصرنا، وهو العِلموية في علم الأعصاب.

أحاول خلال ذلك عرض كتابي (الأخلاق العصبية : نقد اختزال علم الأعصاب المعرفي للأخلاق)، والذي صدر عن مركز براهين مؤخراً هذا العام.

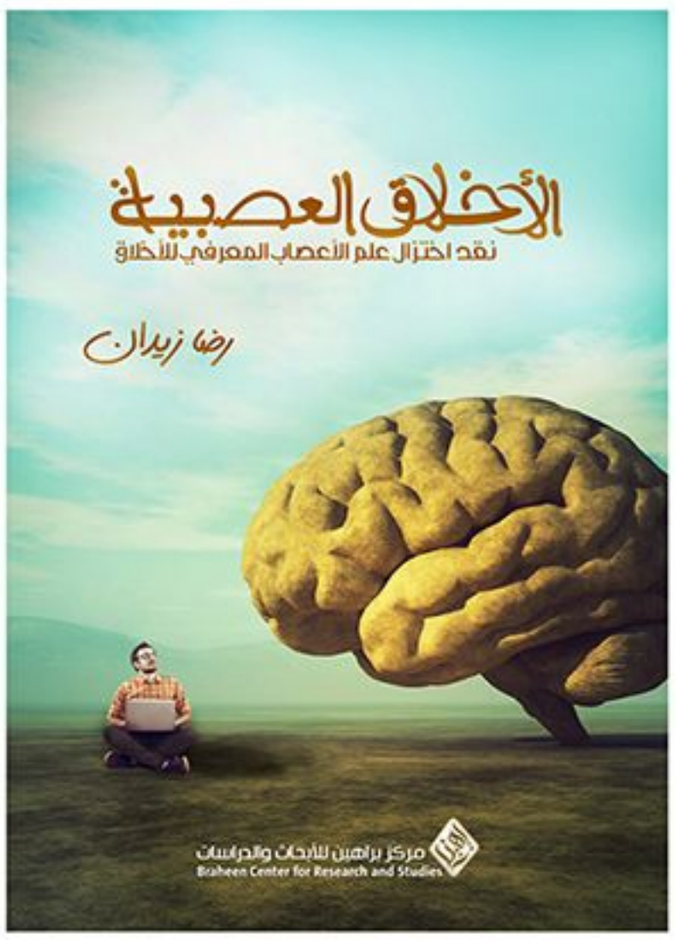

لا يمكن فهم علم الأعصاب المعرفي المعاصر من حيث الافتراضات الأساسية ونطاق العمل إلا بفهم فلسفته، ولذلك خصصت فصلين من كتابي للحديث عن فلسفة العقل المعاصرة، وعن الخلفية التاريخية لتلك الفلسفة.

فقد رأى ديكارت (وهو الشخصية التاريخية المفتاحية في هذا الباب) أن المادة الجامدة محكومة بقوانين قابلة للتعلم، ومن المعلوم أن الكائن الحي لا يمكن التنبؤ به بصورة كاملة (ولا يُرضي ذلك العِلموية بحال) لأسباب كثيرة منها :

تفاعله المستمر مع بيئته.

والاختلافات الفردية.

حيث عالج ديكارت هذه المشكلة بأن أدرج الكائن الحي مع الجماد عملياً، فقد اعتبر الكائن الحي (سوى الإنسان) مجرد آلة.

هذا الحل - إن كان حلاً - هو "تجاهل للمشكلة من أصلها" كما يقول إرنست ماير[5]

ورغم أنه خلاف ما نعرفه بالتعامل المباشر مع الحيوان وما نعرفه علمياً الآن عن ذكاء وثقافة الحيوان (وحيويته بالطبع!) إلا أنه قد أثر تأثيراً سلبياً كبيراً، إذ أنه مَهَّد للبرمجة الداروينية والمُطابقة بين الغريزة (أو الهداية) والبرمجة، لكن هذه النقطة خارج محل بحثنا.

المهم أن ديكارت قدم إمكاناً كبيراً لفلسفة العقل المعاصرة في اختزال الكائن الحي في بنيته الجسدية المادية.

وعند تطبيق هذا على الإنسان نجد أن علم الأعصاب المعاصر يُطابق بين الغريزة ومناطق معينة في الدماغ، أو يختزل الغريزة في مناطق دماغية.

أضف إلى ذلك أن استثناء ديكارت للإنسان من هذه الآلية وجعله جوهراً حراً غير مادي لم يقنع أكثر قراءه، لأنه لم يفلح في حل مشكلة اتصال هذا الجوهر اللا مادي بالجسد المادي.

وتطبيقاً على الغريزة العقلية عند الإنسان فقد أعلن علماء الأعصاب أن العقل هو الدماغ، وأن الإنسان أسير لبنى عصبية ودماغية، ولا شك أن لهذا آثاراً بالغة على الأخلاق (لأنها في هذه الحالة ليست سوى إطاعة أوامر عصبية) ! وبذلك صار مفهوم الإنسانية بكامله في ظل العِلموية وهم.

ذلك الأساس الفلسفي الذي أسسه ديكارت (كون الكائن الحي آلة) ثم مدَّه عِلمُ الأعصاب على استقامته ليكون (الإنسان آلة) : هو سبب ما نسمعه من دعاوي تنكر حرية الإرادة. وقد انتقدت المذاهب المتطورة في هذا التصور الاختزالي للانسان، وهي المذهب الوظيفي، والمادية الإقصائية، والفيزياء الاختزالية.

فانتقدت الحجج المركزية لتلك المذاهب تفصيلاً في الفصل الثاني والثالث، وكذلك في فصل نقد مارك جونسون وجورج لايكوف.

ورغم هذه المذاهب الاختزالية إجمالاً، إلا أن هناك اتجاه معاصر يعارض الاتجاه السائد في علم الأعصاب المعرفي، ويمثله بيتر هاكر الفيلسوف البريطاني المتخصص في فلسفة فتجنشتاين، فقد قدم نقداً فريداً لمفهوم العلوم العصبية المعرفية تحت عنوان : (المغالطة التجزيئية في علم الأعصاب)[7]

The Mereological Fallacy in Neuroscience، ويمكن تلخيص ما قاله على النحو التالي :

يفترض علم الأعصاب المعرفي أن للمخ قدرات إدراكية ومعرفية وأخلاقية معينة، فالمخ هو مَن يفكر ويعتقد ويفسر ويختبر الأشياء ويعقلها، وهذا ظاهر بأدنى تأمل في أعمال أنتونيو دا ماسيو وسام هاريس مثلاً، يقول دا ماسيو :

"أدمغتنا تستطيع غالباً أن تقرر جيداً في ثواني أو دقائق، اعتماداً على الإطار الزمني الذي نحدده مناسباً لتحقيق الهدف الذي نريده، وإذا كان باستطاعتها ذلك فلا بد أنها تقوم بمهمة عظيمة، وليس مجرد التفكير المحض"[8]

وتطبيقاً لهذا الاختزال يرى هاريس أن :

"الإرادة الحرة وهم، ببساطة نحن لا نصنع إراداتنا، فالأفكار والمقاصد تنبع من أسباب جذرية لا نعيها ولا نمتلك السيطرة الواعية عليها، نحن لا نمتلك الحرية كما نظن..

حتى الإرادة الحرة لا تنسجم مع الحقائق الذاتية عنا، ويتضح لنا الاستبطان كمُعارض لهذه الفكرة وكذلك قوانين الفيزياء. إن أفعال الإرادة تنبثق فقط بشكل تلقائي (كونها مُسببة أو غير مُسببة أو يُحتمل انحرافها لا يؤثر)، ولا يمكن تتبع أصلها في عقولنا الواعية.

دقيقة أو اثنتان من المراقبة الذاتية وستلاحظ أنك لا تملك قرار الفكرة التالية أكثر من فكرتي التالية التي سأكتبها"[9]

لكن لغتنا العادية التي هي المُبرر الأعلى لا تسمح بهذا الاستخدام (بناء على تقرير منطقي أصله في كتابي "الإجماع الإنساني" أن اتفاق المجتمعات هو مُحدد المعنى، وعرضت هذا التقرير بتفصيل مختلف وضروري في كتابنا محل الحديث)، فكما وصف فتجنشتاين :

"وحده الإنسان وما يسلك مثل سلوكه هو الذي يمكن القول بأن لديه إحساسات، وأنه يرى، أو أنه أعمى، أو أنه يسمع أو أنه أصم، أو أنه واعٍ أو أنه غير واعٍ".

فليست العين هي التي تبصر، بل وعي الشخص نفسه، ويقول نورمان مالكولم :

"هل يمكن أن تكون للدماغ أفكار أو أوهام أو آلام ؟ إن غياب معنى هذا الافتراض يبدو واضحاً إلى درجة أنني أجد من الصعب أخذه على محمل الجد، لم تستطع أي تجربة أن تثبت هذه النتيجة من أجل الدماغ، لماذا لا ؟ السبب الأساسي هو أن

الدمـاغ لا يشـبه بشـكل كاف الكائن البشري"[10]

إن المحمـولات النفسـية لا يمكـن نسـبتها إلا للإنسـان ومَـن يسـلك مثل الإنسان.

فالقـول بـأن شـيئاً مـا كالدمـاغ يشـعر أو يفكـر مـن ذاتـه هـو اسـتخدام آخـر يمكـن تسـميته بالثانوي أو المجازي.

لكـن أن نسـتبدل الإنسـان بشـيء مـن جسـده للحديـث عنـه فهـذا خطـأ مقولـي واضـح، فالدمـاغ أو المـخ كعضـو : ليـس هـو مَـن يمـر بالتجـارب مختلفـة الجوانـب، بـل وعي الإنسان.

ومـن هنـا يعلـم القـارئ أن فكـرة أن الدمـاغ يوجـه الإنسـان أو يقـوده لفعـل مـا (الجبـر) لا معنـى لهـا، وأن التجـارب التـي قامـت علـى هـذه الفكـرة وقعـت فـي التباس مفاهيمي.

وفـي النهايـة : قدمـت تصـوراً أخلاقيـاً سـميته : (البنـاء الوصفـي للقواعد الأخلاقية).

وبطبيعـة الحـال يعـارض هـذا التصـور الفطـري ثالـوث : الفرديـة والعلمانيـة والعِلمويـة، لأنـه يقـوم علـى وصـف الأخـلاق داخـل النشـاط الإنسـاني الاجتماعـي (مقابـل الفرديـة) ولا يفتـرض عقـلاً أخلاقيـاً مجـرداً مسـتقلاً عـن الشـهوات والأهـواء (كمـا افتـرض ديـكارت)، أو عقـلاً مختـزلاً فـي دمـاغ، بـل يفتـرض شـخصاً كامـلاً داخـل مجتمـع ذي ثقافـة وقيـم (مقابل العِلموية).

ويقـوم هـذا التصـور أيضـاً علـى أن الديـن هـو مَـن علَّـم ورسَّـخ أصـول القيـم والثقافـة مـن خـلال الأنبيـاء (مقابل العلمانية).

حيـث لا يمكـن تسـويغ الأخـلاق في العلمانية.

المراجع

[1] Scientific and Philosophical Perspectives in Neuroethics. Edited by James J. Giordano and Bert Gordijn. Cambridge and New York: Cambridge University Press. P. 37.

[2] أقصـد بالثقافـة هنـا المفاهيـم الأصليـة فـي حيـاة النـاس، مثـل حريـة الإرادة، والـزواج بالمفهـوم المعتاد للأسرة، وغير ذلك.

[3] المرجـع السـابق نفـس الصفحة.

[4] ألـن و. وود، 2005، كانـط، المركـز القومـي للترجمـة، ترجمـة: بدوي عبد الفتاح، ص47.

[5] What Makes Biology Unique?: Considerations for the Autonomy of a Scientific Discipline. By Ernst Mayr. Cambridge and New York: Cambridge. University Press. P. 22

[6] عَرضـتُ بعـض الأبحـاث الحديثة التـي تثبـت وجـود ثقافـة اجتماعيـة فـي عالـم الحيـوان، ودللـت علـى عـدم إمـكان تطورهـا مـن العـدم فـي بحثـي : (نقـد الأخـلاق التطورية، ريتشارد دوكينز نموذجاً).

[7] Bennett, M. R. & Hacker, P. M. S. (2003) Philosophical Foundations of Neuroscience (Hoboken, NJ, Blackwell) Ch. 3

[8] Antonio Damasio (1995), Descartes' Error: Emotions, Reason, and the Human Brain (New York: HarperCollins) P.172

[9] Sam Harris, Free Will (New York: Free Press, 2012) 5–6

[10] سـرجيو مورافيـا، 1995، لغـز العقـل: مشـكلة العقـل والجسـد فـي الفكـر المعاصـر، منشـورات وزاة الثقافـة دمشـق، ترجمـة عدنان حسن، ص321.

إضاءة ..

يقـول أحمـد أميـن رحمـه اللـه : " إنَّ الحُـبَّ فـي قلـب الأمـةِ : رحمـةٌ للضعيـفِ ، وعطـفٌ مـن الغنـيِّ علـى الفقيـرِ ، وتعلُّـمُ الجاهـلِ ، وتعفـفٌ عـن المـالِ ، وزوْدٌ عـن الوطـنِ ، وتقديـرُ الكفايـةِ ، وإعـلاءُ شـأنِ العـدلِ ، ومقـتُ الظلـمِ ، ونُبـلُ الحُكـمِ ، وشـرفُ الموظـفِ ، وجِـدُّ العامـلِ ... فـإن أردتَ الحُكـمَ علـى أحسنها ، فاسمعْ على قلبها ".